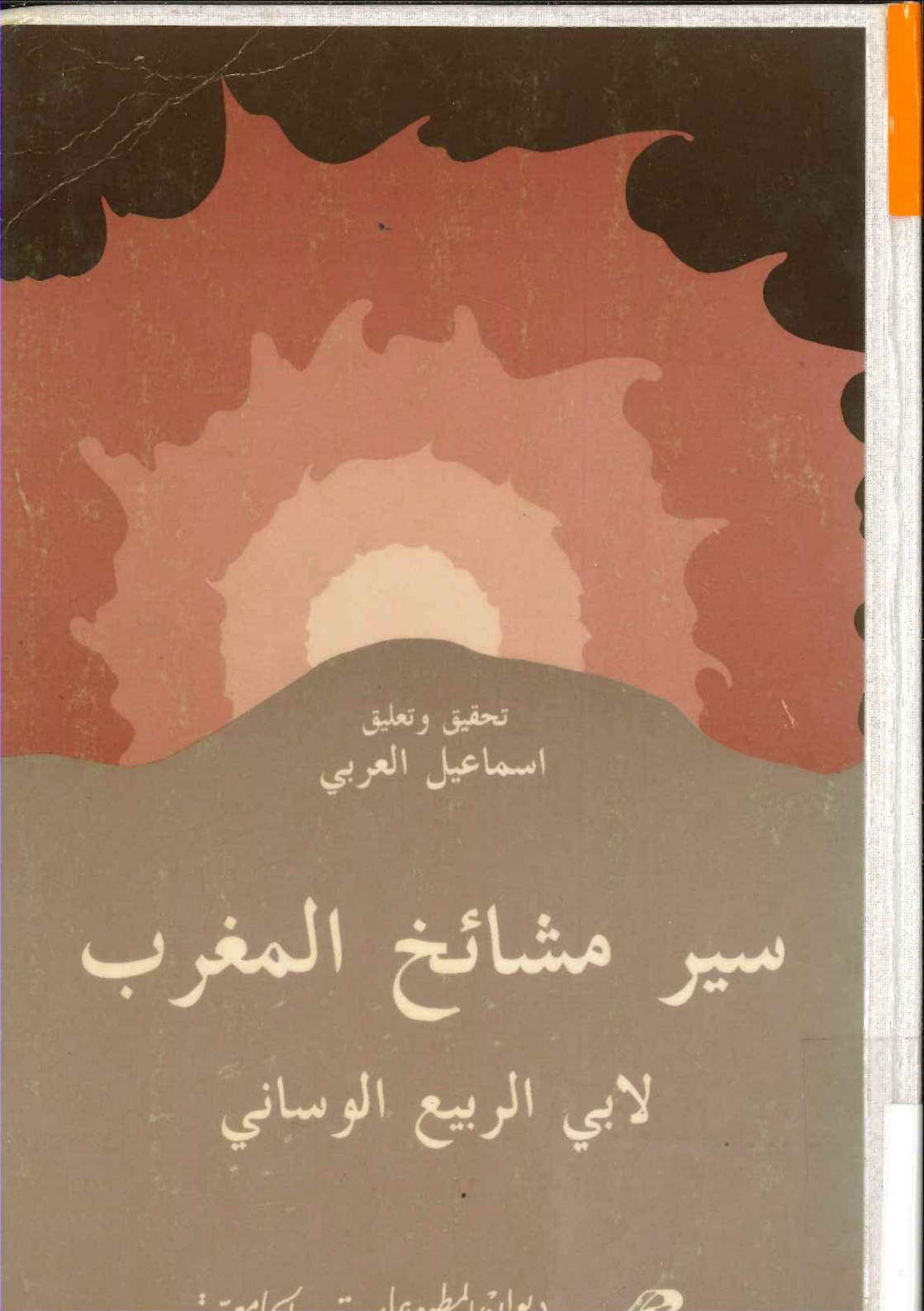




تحقيق وتعليق
اسماعيل العربي

سير مشائخ المغرب

لابي الربيع الوساني

سير مشائخ المغرب
لأبي الربيع الوسياني

248.2

WIS

magasin

سير مشائخ المغرب

لأبي الربيع الوسياني

تحقيق وتعليق وتقديم

اسماعيل العربي

BIMA



1 1350 00045132 4

ديوان المطبوعات الجامعية



• OFFICE DES PUBLICATIONS UNIVERSITAIRES.
1, place centrale de Ben Ali

مقدمة المحقق

ترجم لابي الربيع الوسياني كل من الشماخي في سيره والدرجيني في طبقاته، وقد صنّفه الأخير ضمن علماء الطبقة الرابعة (سنوات 550 - 600 هـ). وأبو الربيع الذي لا نعرف تاريخ ميلاده ووفاته، من علماء تونس حيث أنه ينتمي إلى قسطلية بالجريد التونسي.

والنسختان المعتمدتان للتحقيق فريدتان فيما نعرف⁽¹⁾ وكلتاهما في حالة جيدة وقد استخلص المحقق منهما نصا حسنا.

والمساهمة الأساسية التي يقدمها الكتاب هي روايات ينفرد بها عن بقية كتب التراجم الاباضية (مثل رواية الدمجي الزناتي وأبي مهاصر وخليل الدركي). وقد اعترف بعض المستشرقين الذين اطلعوا على المخطوطة بأنه يمثل المساهمة الأساسية في التعريف بقرى نفوسة وشيوخ هذا الجبل. والوسياني ينقل عن أبي زكرياء وينقل عنه كتاب السير الذين جاءوا بعده ويعتبرونه ضمن كبار علماء المذهب. وقد شملت سير الوسياني بعض اعلام العلم الذين لم تصلنا اخبارهم الا عن طريقه، كما قدم اضافات حسنة للتراجم التي سجلها غيره من المتأخرين.

بذل المحقق أقصى الجهد حتى يخرج هذا النص بما ينبغي من الامانة العلمية ووضع له هوامش مستفيضة في بعض الحالات لتكميل الرواية أو للتخريج والتصحيح، مستعينا في ذلك بكل ما يتوفر لدينا من المراجع المخطوطة والمطبوعة في أدب المذهب الاباضي.

من الغريب حقا أن كاتب السير الكبير، سليمان بن عبد السلام، الوسياني، أبو الربيع، لم يتصدّ أحد من كتاب السير الذين وصلت اليها أعمالهم، لكتابة سيرته، هذا اذا استثنينا الفقرة التي خصصها له الدرجيني في طبقاته، ونقلها عنه الشماخي، وهي لا تسمن ولا تغني من جوع. ولكن هذه الفقرة، مع ذلك، لها قيمة، من حيث أنها تدلنا على مكانة الرجل الممتازة بين علماء الاباضيين، ومن حيث أنها تبرز أهمية كتاب سير مشائخ المغرب الذي نقدمه للقارئ. فان أبا الربيع الوسياني كان أستاذا ملازما لحلقة التدريس، كما اشتهر بسعة علمه بالتاريخ والأخبار والرواية. ويكفي للتدليل على مدى تضلعه في العلم أن أبا العباس الدرجيني يصرح بأن كل خبر نقله في طبقاته ولم يعزه الا الى أبي الربيع، فهو مروى عنه ومما رواه عن شيوخه. وقد وصف الشماخي الوسياني في سيره، بالعبارة التالية :

”أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني، أحد شيوخ الحلق الكبار الحافظ للسير والآثار الذي رويت عنه التواريخ والأخبار“⁽¹⁾.

ويمضي الشماخي، فينقل أقوال الدرجيني التي أشرنا إليها : ”لم تفته سيرة لأهل الدعوة في كل عصر [من] الأعصار، وجملة أوصافه باختصار : انك متى وجدت في هذا الكتاب (الطبقات) أو غيره رواية قديمة عن أبي الربيع، فهو روايتها عن شيوخه الأخيار“⁽²⁾.

وأبو الربيع الوسياني الذي صنّفه الدرجيني، ضمن علماء الطبقة الثانية عشر (سنة 550 - 600 هـ) مع أبي عمار الكافي وأبي يعقوب السدراتي، ينتمي إلى قبيلة وسيان، من بطون زنانة، التي كانت تقيم في قسطلية وضواحيها، من نواحي الجريد التونسي⁽³⁾.

(1) سير الشماخي (ص 454).

(2) طبقات الدرجيني

(3) راجع : Lewicki (T), Etudes abades Nord-Africaines, Warsaw, 1955 (I/11).

(1) بعد كتابة ما تقدم اكتشفت نسخة من الكتاب محفوظة في المكتبة الاهلية في القاهرة ولكنه لم يمكن الحصول على صورة منها بسبب الظروف السائدة.

وكتاب السير الذي أقدم منه الجزء الثاني، قمت بتحقيقه معتمدا على نسختين، أشير إلى أحدهما بحرف (أ) وإلى الأخرى بحرف (ب).

فأما النسخة (أ) فمقاسها 52 × 18 وتحتوي على 48 ورقة، والصفحة على 28 سطرا، وهي مكتوبة بخط مغربي رفيع وبالحبر الأسود، وعنوان الفصل أو الفقرة المهمة مكتوب بالحبر الأحمر، ولا سيما، كلمة، "قال أبو الربيع".

والناسخ لم يذكر اسمه ولا تاريخ انتهائه من النسخ، ولكنه نبّه إلى أن النسخة التي نقل عنها تحتوي على كثير من الأغلاط، وأنه هو عمل على تصحيح كل ما استطاع تصحيحه، والنسخة تبدأ بالعبارة التالية بالحبر الأحمر:

"الجزء الثاني من كتاب أبي زكرياء يحيى في التاريخ" (يعني كتاب السير) ولكن قلم مجهول، فح قوسا بعد هذا العنوان مباشرة وكتب: "بل هذا كذب محض وافترأ! هذا ملخص لكتاب السير لأبي الربيع الوسياني".

وأنا لم أجد صعوبة في التأكيد من غلطة الناسخ التي لا شك في أن النسخة التي نقل عنها كانت تحتوي عليها، هي الأخرى. وعلى الرغم من أنني اطلعت على أقوال لبعض الكتاب تقول بوجود "جزء ثان" لسير أبي زكرياء، فأنا مطمئن إلى أن هذا الجزء لا وجود له، وأن كتاب السير كامل كما هو بين يدي⁽¹⁾ وأن مصدر هذا الزعم لا يمكن أن يكون الا غلطة لبعض الشيوخ أو الناسخ.

وهذا المقام لا يتسع للتدليل والتحليل، ولذلك أكتفي بالقول بأنني أستند أساسا في هذا الرأي على قرينة داخلية في الكتاب، وهي أن آخر الشخصيات التي ترجم لها أبو زكرياء من العلماء هو أبو الربيع بن يخلف المزاتي الذي توفي في نفس السنة التي توفي فيها أبو زكرياء (سنة 471 هـ).

(1) قمت بتحقيق كتاب السير، وقد قامت المكتبة الوطنية الجزائرية بنشره لأول مرة في سنة 1979، ثم اصدرت دار «الغرب الاسلامي» (بيروت) الطبعة الثانية منه في سنة 1983، واخيرا اخرج ديوان المطبوعات الجامعية طبعة ثالثة في منتصف 1984.

والكتاب لا يمكن أن يكون الجزء الثاني، لأنه يبدأ بذكر دخول الاباضية إلى المغرب، عن طريق حملة العلم الذين من بينهم أبو الخطاب وعبد الرحمن بن رستم.

والمهم أن الكتاب الذي مقدمه، هو الجزء الثاني من سير أبي الربيع الوسياني وليس من سير أبي زكرياء، ولكن الشيء الذي لا أستطيع الجزم فيه هو ما اذا كان النص الذي أقدمه والذي تتفق فيه النسختان المعتمدتان، هو "تلخيص" أم هو النص الكامل لسير الوسياني (مع العلم بأنه لم ترد في أي من النسختين كلمة تلخيص).

هذا فيما يتصل بالنسخة (أ).

وأما النسخة المرموز لها بحرف (ب)، فهي ملك للشيخ سليمان بن الحاج داود بن سعيد الاباضي الذي تفضل مشكورا، وأعارها لي لغرض التحقيق، ومقاسها 22 × 17 ومتوسط عدد الأسطر في الصفحة 23 سطرا. وهي مكتوبة بخط مغربي رفيع، ولكن الناسخ لم يذكر اسمه حيث اكتفى بالقول في نهاية الجزء الأول بأنها نسخت "بأمر النشيط السيد الحاج أسعيد بن محمد بن الحاج أحمد العطفي أصلا ومسكنا، الاباضي مذهبا، فاتح رجب الحرام، عام 1389 هجري، الموافق ليوم 13 سبتمبر سنة 1969 ميلادي".

والجزء الأول من الكتاب يبدأ بعبارة:

"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ويتوفيقه تنمو المرامات الخ." وهذا الجزء الأول يشتمل على الفصول التالية:

- المقدمة
- ذكر التلخيص
- روايات ابن عثمان الدمجي الزناتي
- روايات أبي مهاصر موسى بن جعفر
- روايات خليل صال الدركي
- روايات أبي ذربان بن وسيم

- تسمية شيوخ نفوسة وقراهم
- أسماء من تزوج العجائز الصالحات
- حكاية نملي الوسياني
- روايات أبي نوح سعيد بن يخلف المزاتي
- روايات أبي يعقوب يوسف بن نفث النفوسي
- روايات محمد بن يانس النفوسي
- روايات أبي عبد الله بن محمد بن سلمان النفوسي
- روايات أبي عمران موسى وولده هارون
- روايات أشياخ الجبل
- روايات أبي موسى يزيد وولده ضمام
- روايات طوسة، امرأة أبي عبد الله
- روايات الشيخ سعيد بن يخلف
- روايات أبي باديس
- روايات الشيخ معاذ وولده ابراهيم وابنته عائشة
- روايات المستجابي الدعاء
- روايات أبي موسى عيسى بن السمح الزواغي
- فصل
- رواية زورغ
- مسألة في صلاة الوتر
- فصل في الأدب والدعاء
- فصل في الأدب والدعاء ومجانبة الرب
- فصل في الأدب في التعاون على المرامي
- باب ما قيل في الذي في يد العرب من الأموال
- مسائل من غير ترتيب
- رواية التائبين وما ينبغي لهم وكيفية التوبة
- ذكر قراءة كتب أهل الخلاف والنهي عنها
- باب في صفة الملائكة عليهم السلام
- مسائل بنت تونين
- أحاديث من ابتلي بعد النعم
- رواية سارة، امرأة لواتية.

تلك هي عناوين الجزء الأول من سير أبي الربيع الوسياني، وهو، كما يتضح من رؤوس أقلام هذه الفقرات، عبارة عن أحاديث للشيوخ ورواية وحكايات ومسائل فقهية، وذلك بالإضافة الى القصص الدينية التي تساق للعبرة، وهذه الجزء يسوده طابع الوعظ والارشاد والفتوى ولكن محتواه بعيد عن التاريخ والسير، حتى بالمعنى الذي ألف به الجزء الثاني. وهو فقير من حيث الحقائق الموضوعية ولا يزيد معلوماتنا عن المذهب ورجاله الا قليلا. وهذا الاعتبار جعلتني أحجم عن تحقيقه، تاركا فرصة هذا العمل لمن له اهتمام وتضلع أكثر مني بالفقه والقصص الدينية الاباضية.

والسبب الآخر الذي جعلني أعدل عن مهمة تحقيق هذا الجزء، هو أن النسخة التي بين يدي (ب) والتي استعملتها لتحقيق الجزء الثاني، نسخة رديئة جدا، مليئة بالأغلاط والتحريف بحيث لا يمكن الاعتماد عليها لاستخلاص نص سليم للكتاب، ولولا الاستعانة بالنسخة (أ) التي هي أفضل منها لما أمكنني تحقيق الجزء الثاني. ولكن الحظ أسعفني الى حد بعيد، حيث أن النسختين تكمل أحدهما الأخرى.

ومهما يكن من أمر، فإن مشكلة مخطوطة سير أبي الربيع الوسياني لا تزال مطروحة على بساط البحث. وأنا لا أزعم أنني تمكنت من حلها بالعثور على نسختين متماثلتين فأنا قد ذكرت أن كتاب السير يحتوي على جزأين فقط (والنسخة (ب) لا تحتوي الا على جزأين) ولكن أحد الأساتذة الاباضيين أخبرني أن الكتاب يتكون من ثلاثة أجزاء. وهذا الأستاذ لم يفدني بما اذا كان هذا هو الرأي السائد عند الشيوخ الاباضيين التقليديين، أم أنه استقاه، مثلي، مما كتبه المستشرق البولندي "ليوبيكي".

فإن هذا الكاتب يتحدث عن مخطوط وجده ضمن المجموعة التي كونها في أواخر القرن الماضي، المستشرق "سموجورزوفسكي" (smogorsewski) ويحمل رقم 277 من هذه المجموعة ويتكون من 208 ورقة (416 صفحة).

سير مشائخ المغرب لأبي الربيع الوسياني

(الجزء الثاني)

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

نبدأ بذكر الله والصلاة على نبيه أحمد عليه السلام ونسأله التوفيق والتحقيق لمرشد الطريق في القول والعمل، ونعوذ بالله من الخطأ والزلل، فانما نحن به وله، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وهو مولانا، فنعم المولى ونعم النصير.

وقد قصدنا في هذا الكتاب الى ايضاح ما انتهى اليه من سير أوائنا وأسلافنا، من أدركنا منهم، وما بلغنا من لم ندركه، من المناقب الكريمة والمراتب الشريفة والمنتخب من الفعل والمنتحل من القول، رحمة الله عليهم، اذ النجاة في اتباعهم، والسلوك على منهاجهم، كما قيل عن بعض من مضى من النكار، انه قال^(أ) انما غلبنا أصحاب أبي الربيع بالآثار.

وحكي عن رجل من خيار نفوسة أنه قال : نحن أصحاب آثار لوسلك^(ب) الطريق بنا على جدار لسلكناه، بل [لو] سلك بنا على ظبا السيوف وشبات السنان لسلكناه مرضاة الله وقياماً لدينه وأظهاراً له ولو كره الكافرون.

وأول ما نذكره ما انتهى اليه من أخبار أبي محمد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري، رضي الله عنه.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) سقطت كلمة "أنه قال".

(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : "سلوكا".

وهذا الكتاب الذي كتب بالخط المغربي يحمل على غلافه العنوان التالي :

"كتاب السير - تأليف الوسياني"⁽¹⁾

وقال "ليويكي" إنه بعد دراسة المخطوط اتضح له أنه يتكون من ثلاثة كتب مختلفة كلها في السير. فان الكتاب الأول منها (من صفحة 1 حتى صفحة 189) هو الوحيد الذي ألفه الوسياني (وهذا الحجم قريب من حجم الجزأين اللذين عثرنا عليهما).

وأما الكتاب الثالث، فقال انه مستقل ويحتمل أن يكون هو الجزء الثاني لسير أبي زكرياء بن أبي بكر.

وأما القسم الذي يتوسط الجزأين، فقد استنتج الباحث البولندي أن مؤلفه لم يكن سوى أحد تلامذة أبي الربيع الوسياني.

انه لمن سوء الحظ أن مجموعة، "سموجورزوفسكي" الثمينة من المخطوطات العربية قد عبثت بها يد الأحداث، حيث أنها كانت، فيما قيل لي، من ضمن الآثار الأدبية البولندية التي كانت تقع في المنطقة التي ضمتها روسيا بعد الحرب العالمية الثانية الى أراضي أوكرانيا وروسيا البيضاء.

ومن ثم، يمكن اعتبار هذه المجموعة التي تشمل عددا من المخطوطات الاباضية (التي من بينها نسخة من كتاب السير لابن زكرياء) في حكم الضائعة.

اسماعيل العربي

الجزائر في 20 مايو 1977

(1) راجع، المصدر المذكور، Etudes abadites، المقدمة (11/1).

ذكر أخبار أبي محمد عبد الله بن مانوج اللمائي (ض)⁽¹⁾

ذكر شيخنا أبو الربيع، سليمان بن يخلف، رضي الله عنه، أن أبا محمد عبد الله بن مانوج، رجل من لماية، تاب بعدما كبر، وكان سبب توبته أنه التقى مع شيخ من لماية ذات مرة وهو يرعى غنما له، فقال له الشيخ اللمائي أن غنما ترعاها اللحية خير غنم، وأن لحية تتبع الغنم شرّ اللحى، ف وقعت التوبة في نفسه، فطلع الى المشائخ، أبي صالح⁽²⁾ وأبي موسى، عيسى بن السمح⁽³⁾، وهم (في) ذلك الوقت في جربة، فمكث عندهم ما قدر الله له، ثم رجع، فالتقى مع الشيخ المذكور، اللمائي.

فقال له : اعلم أن الجمال تبرك للأحمال، وانما التفاضل فيمن يبلغ.

ثم رجع الى المشائخ مرة أخرى، فمكث عندهم ماشاء الله، ثم رجع الى أهله، فالتقى مع الشيخ المذكور،

فقال له : ان الغدر أن تأخذ الماء، وانما التفاضل فيمن يمسك ويحوز ما أخذ.

ثم رجع مرة ثالثة الى المشائخ، فمكث عندهم يتعلم حتى فهم وعلم ما قدر الله له، وتفقه. وهو أحد الفقهاء السبعة الموسومين بأهل الغار، غار

أمجماج⁽¹⁾، وأمجماج موضع معروف بجربة. منهم أبو عمران موسى⁽²⁾ وأبو جبير، وجبير وجابر بن سDRAM⁽³⁾ وكباب بن مصلح، وهؤلاء الأربعة كلهم مزاته.

ومنهم أبو عمرو التميمي⁽⁴⁾ وأبو زكرياء يحيى بن جرنان النفوسي⁽⁵⁾.

وكان أبو محمد عبد الله بن مانوج رجلا عليما فقيها ورعا زاهدا، ذا اجتهاد ونية حسنة.

وقد ذكر عنه أبو الربيع أنه قال : ما استلفت قط دينارا غير دينار واحد، وقد رددته بعينه، وهذا من كثرة القناعة بما أعطاه الله، لكثرة العرض والمال. ومع هذا، قيل في ضيافته [أنها] "ليست كضيافة الناس".

قال أبو الربيع، قدم علي أبو محمد عبد الله بن مانوج راعي غنمه، فقال له : ما فعلت الغنم ؟ فقال له الراعي، بخير. ان أصابت العافية الي قابل تستكمل مائة.

فقال له أبو محمد، ما أحب أن تستكمل مائة شاة، كما لا أحب أن أكون يهوديا.

ومن اجتهاده أنه كان يغسل بالماء مع عموشة عينيه وضعف قوته. وقد اتخذ

(1) ترجم له الدرجيني ووصفه بأنه "أحد من نظر فأبصر واستبصر" ثم ذكر نبذة من أخباره بعضها مما روي عن أبي الربيع سليمان بن يخلف. وقد صنفه ضمن علماء الطبقة التاسعة (سنة 450 - 500). راجع الطبقات 400/2 - 403. أنظر أيضا ترجمة الشماخي الذي قال عن ابن مانوج أنه "تفقه وصار إماما ومشارا اليه، وهو أحد السبعة المشهورين المنسوبين الى غار أمجماج" السير (ص 396 - 397).
(2) لا أدري إذا كان المقصود هنا أبا صالح الجاجاني (راجع ترجمته في طبقات الدرجيني 372/2 - 374، وفي سير الشماخي - ص 378) أم أبا صالح جنود بن يمران (راجع ترجمته في الطبقات 341/2 - 344 - سير الشماخي (ص 362)، وكلا العالمين مشهور ويتمي الى ورجلان. ولكنه ربما كان أبا صالح بكر بن قاسم، وهو من علماء جربة الذين سجل الدرجيني زيارتهم لريغ وورجلان (الطبقات 342/2).
(3) ترجم له الدرجيني في الطبقات وصنفه ضمن علماء الطبقة العاشرة (سنة 450 - 500) ووصفه بأنه "الشريف نسبا، الطيب مكسبا، الرفيع مطلبيا، الهاشمي العربي، وابن عم النبي... والسخاء سجيته، وهو ممن يتعلم منه الورع والعلم" الطبقات (353 - 359). ونفس العبارات يرددها الشماخي الذي يذكر نبذة من أخباره. راجع السير (ص 429 - 430).

(1) ذكر الشماخي هذا الغار باسم غار "أمجماج".
(2) ترجم له الدرجيني باسم ابن عمران بن زكرياء المزاتي، وصنفه مع أبي عبد الله محمد بن بكر وأبي محمد بن مانوج، من الطبقة التاسعة (سنة 450 - 500) ووصفه بأنه "رأس من رؤوس المذهب وأعلم علمائه". وفي هذه الترجمة ذكر الدرجيني أيضا، جابر بن سDRAM وكباب بن مصلح وأبا جبير المزاتي. راجع الطبقات (409/2 - 412) وسير الشماخي (ص 489 - 490).
(3) راجع أخباره في طبقات الدرجيني (411/2).
(4) في الأصل في النسختين : أبو عمر، وصححت بناء على تهجئة الدرجيني والشماخي. ترجم له الدرجيني ووصفه بأنه "الراسخ القدم" الذي كان الورع خديته، والعلم في كل وجهته قرينه، وهو أحد أقطاب الجزيرة (جربة) وما يجري فيها (من) الفرض، والسنة، والسيرة" وقال عنه أنه عاش مائة وعشرين عاما. راجع الطبقات (364/2 - 365) سير الشماخي (ص 372 - 373).
(5) كذا في نسختي المخطوطة. وذكره الدرجيني باسم ابن كرنان (وهذه كاف بربرية تنطق بين الجيم والكاف، مثل "أكلي" و"بلكين"). وأما الشماخي، فيذكره باسم ابن جرنان (وهو بدون شك، تحريف بقراءة النون زايًا). راجع أخباره في الطبقات (393 - 394) والسير (ص 402 - 403).

على نواحي خيمته الأربعة أربع نواح يستح (كذا) فيها من شأن هبوب الرياح ، فكان يغتسل ويتيمّم لوجهه . فقيل له ، أفلا يجزيك التيمّم ؟ فقال : تلك مسألة العجزة ، لست أخذها .

وزاره ذات مرة الشيخ أبو عمران موسى بن أبي زكرياء ، فجرى بينهما كلام ، حتى قال أحدهما لصاحبه ، ما عاش الناس في هذا الزمان الا بالحملان . وقال له (الآخر) ، أحسبه أبا عمران ، ان الشك مني انما يكون الحملان في الطهارات والنجاسات ، وأما أموال الناس فلا .

وقيل سأله رجل عن العبادة ما هي ، فقال العبادة هي النية . فهكذا ، أنا لا أقرأ الا ربع القرآن ، وداود ابني قد حفظ ما بين اللوحين ، وها هو الفارس في الفتنة ، وكان يحذر أولاده من الرجوع عن الاسلام . وقيل ابنه داود تاب ورجع بعد ذلك الى الخير .

وذكر الشيخ ماكسن بن الخير ، رضي الله عنه⁽¹⁾ أنه جاز على أبي محمد عبد الله في سيره الى جربة ، قال فسأله ابنه في أي باب من العلم أنظر فيه : الكلام ، أم الفقه ؟ فقال له : أنظر في الكل ، أي بني ، فإنك محتاج الى ذلك كله .

قال ، فقلت له : إن لم يحتمل ذهني ذلك ؟ فقال له : دينك اذا ، دينك اذا ، أي بني .

وكان المشائخ يزورونه من جربة ، فزاره أبو القاسم يونس⁽²⁾ بن أبي زكرياء ، رضي الله عنهما ، ذات مرة ، فقال له ، يا شيخ ، سمعت أن وصيكَ الى الحج قد أصيب وأخذ ما معه ، فاستخلفني في ذلك ، لعلي أجمع لك ما

(1) ترجم له الدرجيني مع أبي عبد الله مزين بن عبد الله ، وصفهما ضمن طبقة أبي الربيع سليمان بن يخلف ، الطبقة العاشرة (سنة 450 - 500) . راجع الطبقات (429 - 437) الشماخي (ص 414 - 416) .
(2) ترجم له الدرجيني ضمن علماء الطبقة العاشرة ، باسم أبي القاسم يونس بن أبي الحسن . راجع الطبقات (439/2 - 440) .

تجبر به ، فاستخلفه ثم مضى الى جزيرة جربة⁽¹⁾ فرجع بنحو أربعة أو خمسة وعشرين ديناراً - الشك مني - فدفعهم له . فقال له ، يا يونس ، أقسم معك ، فأنت حديث عهد بعرس ، فأبى ، فأعاد عليه ، فأبى ، فأدخل أبو محمد رأسه تحت ثيابه وفتح السرة ، فنزع منها خمسة دنائير ، فقال ، خذ هذه الخمسة ، يا يونس ، فأبى ، فقال له : جيد ما فعلت ، جيد ما فعلت ، يا يونس .

وهذا مما يدل على حسن نيته ، وباطنه كظاهره ، قال أبو الربيع : زار عبود بن منار المزاتي⁽²⁾ أبا محمد عبد الله بن مانوج ، فسأله أبو محمد عن أحواله ، فقال له ، أنت عظيم في نفسي ، يا عبود ، فكيف أنت وكيف حالك ؟ فقال عبود ، بخير ، يا شيخ ، غير أن ديونا كانت علي . فانتهره أبو محمد ، فقال له : كانت عليك ديون و [لا] تأتيني !

ابعد [عـ] نبي يا عبود ، ابعد [عـ] نبي ، فأنبأه باسمه ، فرجع الى منزله ، فأمر علي بن يخلف⁽³⁾ أخا أبي الربيع ، أن يأتيه بمن يشتري غنيماً له وعبداً ومطمورة شعير ، فأتاه بمن يشتريهم ، فقضى ديونه ، فأغارت غارة في تلك الأيام ، لرجل من النكار يسمى منصور بن فلد بن أبي علي ، فجازوا عليه فقتلوه شهيداً ، رحمة الله عليه .

وقد كان لهذا الرجل النكاري قصة وحديث ليس هذا موضعه . وكان تنبيه أبي محمد لعبود من أعظم نعم الله ومواهبه .

(1) جزيرة بالبحر الأبيض المتوسط تقع في خليج قابس ، طولها من الشرق الى الغرب 36 ميلاً وعرضها من الشمال الى الجنوب يتراوح بين 11 و16 ميلاً ، وتبلغ مساحتها 224 ميلاً مربعاً ، ويفصل بينها وبين البر مضيق يبلغ اتساعه 40 ميلاً . ويبلغ عدد سكان جربة في الوقت الحاضر 62,000 نسمة ، وهم من البربر الذين يحتفظون بلغتهم الأصلية التي تشبه لغة جبال زاوية والريف المغربي ، ولو أنه توجد بها أقلية من العرب الذين ينحدرون من بني هلال . وتعتبر جربة ، مع وادي مزاب وجبل نفوسة ، من القواعد الأساسية للمذهب الإباضي في المغرب . راجع عن جغرافية الجزيرة وتاريخها ، القارة الافريقية وجزيرة الاندلس للادريسي (تحقيقنا ، نشر ديوان المطبوعات الجامعية 1983 ص 206 - 207) كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 145) الحسن بن محمد الوزان (طبع شيفرز - 176/2) رحلة التجاني (ص 121 - 129) وكذلك : Guérin (V), Voyage Archéologique dans la Régence de Tunis, Tunis, 1860 ; Mas Latterie, Traité de Paix et de commerce tom I, p. 158 ; Bruet (A), Monographie de l'île de Djerba, 1885 ; Bossoutrot, Documents pour servir à l'histoire de Djerba, Revue Tunisienne, 1903, Gendre, l'île de Djerba, Revue Tunisienne, 1907 - 1908.

(2) هو خال سليمان بن يخلف ، راجع أخباره في طبقات الدرجيني (402/2 - 404) سير الشماخي (ص 411) .

(3) راجع ترجمته في طبقات الدرجيني (513/2 - 515) ، وهي تأتي بعد ترجمة مؤلفنا ، أبي الربيع الوسياني ، مباشرة ، وكلاهما من الطبقة الثانية عشر (سنة 550 - 600 هـ) .

(ذكر) أبو الربيع عن امرأة تسمى أم البخت، وكانت بنت خاله، قالت رأيت عمي، عبود، في النوم بعدما قتل، فقلت له : مضيت وتركتنا، يا عمي، فقال لي : علام تقولين ذلك، وقد تركت فيكم سليمان بن يخلف نذيرا بعدي ؟

وكانت أم البخت تعرف بالصلاح.

قال أبو الربيع إن عمرو بن عبد الله الزواغي، زار أبا محمد عبد الله بن مانوح، فقال له، كيف أنت يا عمرو ؟ قال، بخير يا شيخ ! قال، فقال : اتق الله يا عمرو، فانها لك جنة وأحسن معاشرتك للناس. (1)

قال فقلت، أي الناس تريد ؟ قال نعم، نعم، فهمت ما قلت : المسلمون هم الناس.

وذكر أن عمرو بن عبد الله الزواغي هذا زار أبا محمد كمّوس، رحمه الله، وكان من شيوخ زواعة، فقال له أبو محمد كمّوس (2) أجرك الله يا عمرو، زرتني يا عمرو وأزلت عني الوحشة.

فقال له عمرو، وهل نزيل الوحشة نحن أهل هذا الزمان ؟ قال أبو محمد علام تقول ذلك ؟ أليس قد قالوا من يصلي الصلوة الخمس قد ملأ ما بين السماء والأرض عبادة ؟

قال أبو الربيع، جارت جماعة فيها عبد الله بن زورزين على أبي محمد عبد الله بن مانوح، فقال [له] يا عبد الله، اعلم أنني لم أعرف فيهم غيرك علمهم سير الاسلام، وقد رأيت من لم يروا من أهل الخير، وأدرت من لم يدركوه.

(1) في الطبقات (403/2) : "فكان مما قاله : يا عمرو، اجعل تقوى الله جنة، فانها خير جنة، وأحسن معاشرتك للناس، الخ...".

(2) أورد الشماخي هذه القصة في سيره (ص 470 - 471).

(3) زورزين في الطبقات، وزورزين في السير. يصف الدرجيني أبا عبد الله بن زورزين ضمن علماء الطبقة التاسعة (سنة 450 - 500)، وقد جمع في التعريف به (كما صنع الشماخي) أبا عبد الله محمد بن سوردن، وميمون بن حمودي، والثلاثة من أهل كنومة. والكثير مما ذكره الدرجيني عن هؤلاء، أخذه عن أبي الربيع الوسياني، راجع الطبقات (395/2 وما يليها) السير (ص 394 - 396).

وقال أيضا جاز عليه جماعة عزّابة (1) وفيهم رجل كبير جسيم، فقال له : أعلم أن كل راع مسئول عن رعيته، وهذا من كثرة الهمة في المسلمين وفي أمورهم.

وذكر الشيخ ماكسن بن الخير، رضي الله عنه، أنه خرج من جربة ذات سنة مع أصحاب له يريدون الحرث، فقال فجاز طريقنا على أبي محمد، وقد تركنا ثيابنا في جربة، وعلينا ثياب رثة أسمال، فنظر إلينا وصوب بصره فينا مليّا فتكلم عند نفسه، فقال : آه، قلت الأموال وذهبت حرمة الاسلام.

قال، ففطنا أنه أراد ما نحن فيه من رثاثة الملابس وقشفها.

قال، فقلنا له، يا شيخ، قد تركنا ثيابنا في جربة وخرجنا بهذه الى الحرث. فقال، نعم اذا، نعم اذا.

قال أبو الربيع، زار أبو محمد عبد الله، ابن الأمير (2) عبد الله بن مانوح، ومعه لحم مطبوخ في يوم جمعة، فوقع فيه أبو محمد عبد الله بن مانوح، فأكل منه وهو صائم. ذكر هذا الحدث ابراهيم بن يوسف، وزاد فيه عن محمد بن الشيخ عبد الله، أن ذلك بعد الصلاة الأولى.

وذكر أبو اسحاق ابراهيم بن مصكودس الدجوي، أن أبا محمد عبد الله بن الأمير كان يعظ لماية ويحذرهم ويقول : حسبنا أن نؤاخذ بذنوبكم، يا لماية، ويقول : من فم أبي صالح الى أذني، والويل لي إن ظلمته، السخطة تعم،

(1) العزّابة اسم لجماعة في اصطلاح الاباضية، واحدهم عزّابي. والكلمة مشتقة من العزوب، أي العزوب والبعث عن الأمور الدنيوية. والعزابة تعني الانقطاع والعزلة وتنطبق، خصوصا، على طلبة العلم الذين يعقدون الحلقات حول أشياخهم أو يتجولون معهم. على أن هذا المصطلح أخذ معنى جديدا في المجتمع الاباضي الحديث، حيث أصبح يطلق على هيئة تشرف على الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية والتربوية. وهي نفس الهيئة التي كانت تشكل مجلس شورى للامام في زمن "الظهور" (أي خروج الدعوة من مرحلة السرية). ومقر العزابة هو المسجد.

(2) ترجم له الدرجيني ضمن علماء الطبقة التاسعة، وقال ان "شعاره الدين والتقوى مع صبر ورياسة، ومحافظة على السير والآثار". والدرجيني ينقل القصة التالية عن أبي الربيع الوسياني، مع أخبار أخرى. راجع الطبقات (413/2 - 415). أنظر أيضا، سير الشماخي الذي ينقل نفس الأخبار من الدرجيني (ص 404).

والرحمة تخص. يهلك الصالح بذنب الطالح. وقال: "ثم صرفكم عنهم ليبتليكم". وقال: "انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا"، الآية. ولقد عفا الله عنهم وفيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن يريد الأخيرة.

قال أبو الربيع، جئت أبا محمد عبد الله بن الأمير، فلم أجده في منزله، فسألت عنه، فقليل لي، ها هو في الأندر، قال فمضيت إليه، فوجدته تناول جبة صوف وقد وضع كمّاه يضم أطراف المريد وهو الأندر والبيدر والجرين.

فلما أحسّ بي، تنحّى الى كسائه ولبسها، فعانقته؛ فقال، وجدتني واضعا كساء، فاحتشمت وقلت: ما في ذلك من بأس. أليس العمل من الحلال؟

قال، بلى، ان من يحسن العمل من الحلال. فقلت، كيف كان يعمل؟ قال، اذا كان وقت الحصاد ينقل الزرع الى الأندر بالشباك على ناقة، حتى اذا حان وقت صلاة الضحى أتاخ ناقته ثم حط عنها، ثم عقلها وحل ازواره، ثم يأخذ في الصلاة حتى يصلي ما كان يصلي قبل ذلك، فيرحل بناقته. فهكذا يكون العمل في الحلال، اذا لم يضّر بعمل الآخرة.

وقيل ان عبد الله بن الأمير طلع ذات مرة من جربة، فشيعة أهل جربة، وفيهم أبو القاسم يونس بن زكرياء، رحمهم الله.

فلما قربوا من البحر، رفع أبو القاسم عبد الله بن الأمير على عاتقه، حتى أدخله القارب (الزورق) لثلا يحوط (كذا) الماء، فنظر اليه قوم من العامة والطغام ومن لا تمييز لديهم، فقالوا انظروا الى يونس بن أبي زكرياء، قد حمل الاسود على ظهره.

قال أبو الربيع، وجه آلي أبو سليمان بن موسى شيئا، فأمرني أن أشتري له من طرائف الأطعمة ولطائفها، فأتى به أبو محمد عبد الله بن الأمير ليأكله، فاشتريت ما أمكنتني، فأتيت به أبا محمد، فمررت في طريقي إليه على كلاء وعشب وخلاء، وأنا على حمار، فاحتشمت لحماري.

فلما أتيته، قال لأولاده، اعلفوا حمار سليمان. فقلت يا شيخ، ما هو حمار معتاد على العلف، وقد حششت له في طريقي ما يبيت عليه. قال، فقال لي، هكذا كانت قصتي مع الشيخ أبي محمد عبد الله بن

مانوح، أتيته ذات مرة، وأنا على دابة قد حششت لها في طريقي، فقال، اعلفوا دابة عبد الله. فقلت، ما هو بحمار علف، فقال لي، يا عبد الله، علف دابة الضيف، هو علف لصاحبها.

قال أبو الربيع، قال عبد الله بن مانوح، من العلماء من يقول اذا أحسّ الرجل في عقله نقصا من علة أو كبر، فلا يجوز له أن يفتي الناس، وقد أخذت أنا بذلك. وكان يقول: اني سأترك الناس قبل أن يتركوني. وقد مدّ الله من في العمر وأنسى له في الأجل.

وذكر عنه أنه نظر الى ابنه وابن أخيه، أبي يوسف، فقال: كأنكما أخيار زمانكما، وقد نظرت في أمركما وكيف تنجوان من هذه الدنيا، فلم أجدها لكما.

ذكر أخبار أبي محمد ويسلان بن يعقوب الدمجي المزاتي (ض)⁽¹⁾

كان أبو محمد من مزاته دمجيا، وكان في شبابه راعي غنم ذا لبّ وطب، أي خذق. وكان يتغنى خلف غنمه قبل غروب الشمس، فيختم غناؤه بكلمة "الله"، ويدعو الله فيه بكلمات لنفسه. فاذا راوده الرعاة بعد ذلك الى الزيادة في الغناء، يأبى عليهم، ويقول: ختمت بعد، فلا يزدلهم شيئا، ثم ألهمه الله التلازمة، في زمان أبي القاسم، يزيد بن مخلد، رضي الله عنه، بعد ما كبر سنه، فمكث عندهم يقرأ القرآن سبع سنين. وكان في بدء تعلمه يقرأ قراءة المبتدئ. وكان رجلا جهير الصوت. فقال له رجل، قد فاتك

(1) ذكر أبو زكرياء نبذة من أخباره في سيره في سياق الحديث عن أبي القاسم يزيد بن مخلد (ورقة 123)، ويتحدث عنه الدرجيني أيضا في الطبقات باسم أبي محمد ويسلان بن يعقوب المزاشي (126/1 - 127). ولكن أبا الربيع الوسياني يتحدث فيما بعد (ورقة 54) عن أبي محمد ويسلان بن أبي صالح، كما يترجم الشماخي في سيره لعالم باسم أبي محمد ويسلان بن أبي بكر. راجع السير (ص 375). فهل تنطبق هذه الأسماء المختلفة على شخص واحد؟ الشيء المؤكد، على كل حال، هو أن بعض القصص التي أوردها أبو زكرياء في سياق الحديث عن أبي محمد ويسلان والتي يوردها أبو الربيع الوسياني والتي يذكرها الشماخي، تنطوي على عناصر متشابهة، وبالتالي. يمكن الاستنتاج بأننا أمام شخص واحد. ولكن تعدد كنيته، يدعو مع ذلك الى التساؤل.

التعلم، يا ويسلان ولكن ارجع الى أهلك، فتضمن المعروف وتحسن القيام بمن يمر بك من أهل الدعوة، فسأه قول الرجل، كأنه آيسه من التعلم، فخرج بلوحيه من البلد الى الفحص، فطفق يبكي. فمر به رجل آخر، فقال له، ما شأنك يا ويسلان؟

فأخبره قصته، فقال له، هات لوحك، وكان قد رماه، فأخذه.

فقال، اقرأ فأخذ في القراءة. فقال له الرجل: أي عالم يخرج منك يا ويسلان، فارتاح قلبه وراح كربه من قول الرجل، فتمادى على العزم والجهد والمواظبة عليه، فلما تعلم القرآن، رجع الى علم الأصول والحجة والكلام، فمكث فيها ست عشرة سنة، وكان تعلمه عند أبي القاسم يزيد بن مخلد، فرحل ذات مرة الى منزله وكان قد اتخذ معروفا، فتناظر مع امرأة أبي القاسم في مسألة وأبو القاسم ناعس.

فلما انتبه، قال له هل سمعت ما نحن فيه؟ قال سمعتكما تتراميان بالاخفاف، يريد ضعف مناظرتكما.

فلما تعلم من الكلام والحجج ما قدر الله، أراد أن يتعلم الفقه، فطالع أمه، فقال لها، أتأذنين لي أن أطلع الى الجبل؟ فقالت نعم، فظنت أنه يريد جبلا قريبا منهم، وهو يريد جبل نفوسة. فطلع الى جبل نفوسة، فكان اذا ورد عليه كتاب من أهله، رمى به في كوة، حتى توافى عنده عدة كتب. فلما قضى نهمته وطلبت نفسه الرجوع الى أهله، تناول الكتب، الأول، فالأول، فقرأ الأول منها، فوجد فيه خبر وفاة أمه.

فلما أراد الخروج الى أهله، شيعته مشائخ نفوسة الى وقت موادعتهم اياه. قال لهم: لي مسألة يا مشائخ، أريد أن أسأل عنها. قالوا ما هي يا با محمد؟

قال، ما تقولون في رجل حلف بالله ألا يفعل هذا، فحنث. ما الذي يلزمه؟

قالوا له: يعتق رقبة أو يكسو عشرة مساكين ويطعمهم. قال: يختار أي وجه من هذه الثلاثة؟

قالوا: نعم. قال قد أخذت مسألتني ولو سئلت عن الجبل، هل فيهم من يقول بالجبل لقلت لا. قالوا: فاذا بك هذا تريد؟

وكان عدة ما مكث فيهم سبع سنين، فبلغ من العلوم ما قدر الله له، وجمع ديوانا كبيرا، فكان يجتهد في قراءته بعد رجوعه الى أهله شتاء وصيفا. وكانوا يقولون له اذا رآوه يقرأ كتبه في الشتاء، هذا زمان برد وقرّ وندى، أشفق على الكتب، فيقول: يأتي الصيف فيدبلون وييسون. واذا أخذها في الصيف، قالوا هذا زمان حر، فيقول: يأتي الشتاء فيبردون ويمتدون.

قال أبو الربيع، قال أبو عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه ورحمه⁽¹⁾، بينما (كان) ويسلان المذكور يمشي في زقاق (في) القيروان، واذا برجل مطموس العين أكمه، أعمى، يجتمع اليه الناس ويحدثهم. قال، قال، فوقفت عليه بين الناس، فرفع اليه المظموس رأسه، فقال هذا ويسلان، في كفه كتاب فيه "بسم الله الرحمن الرحيم"، فأخذ يتلو ما في الكتاب حتى بلغ الغلط في حاشية الكتاب، فتردد قليلا، فقرأ أبو الربيع الغلط، فمضى في الكتاب.

قال أبو محمد، فهربت من ذلك لثلاثي يأتي بأعظم من ذلك.

قال أبو الربيع، قال أبو عبد الله محمد بن بكر، رحمه الله ورضي عنه، بينما (كان) قوم في مجلس بمدينة القيروان، جرى ذكر أبي محمد، فتعجبوا من عقله وفضله وعلمه وحلمه وسعة ذهنه، وقال بعضهم: وهل ينتهي الى هذا عقل بربري؟

فقال بعضهم، أجر به لكم. فعقدوا له مجلسا في الطريق حتى جاز عليه، فمد اليه الرجل رجله حين رفع إحدى رجليه، فضربه فانصرع، ثم قام فمسح وجهه، فقال: الحمد لله، ولم يكثر بذلك.

(1) ترجم له الدرر جيني في الطبقات ووصفه بأنه "من أكثر الناس علما وورعا." راجع الطبقات (170 - 167/1) وانظر سير الشماخي (ص 384 - 385) والاباضية بالجريد (الفهرست).

أخبار أبي جعفر أحمد بن خيران الحامي (ض)⁽¹⁾

كان أبو جعفر رجلا سخيا مجتهدا في العبادة. وكان عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه يقول لأهل قسطنطينية: قطع عذرکم أبو جعفر، يا أهل قسطنطينية إن كنتم، بل قلتم كنتم مقلين، فأبو جعفر مقل مثلکم، وإن قلتم كنتم على ممر الطريق، فأبو جعفر كذلك.

وذكر أن عادة أبي جعفر إذا صلى بالمسجد في الليل تأخر في المسجد بعد خروج الناس، فيفتش زوايا المسجد بعكازه، فيقول: هل ههنا ضيف أو من يبيت بلا عشاء؟

وذكر عنه أنه دفع لمشيطة^(أ) له شعيرا أوزريعة ليزرعها في حديقة له، فكان أبو جعفر يسأل المشيط ما فعل بالزراع، فيقول المشيط، بخير يا عمي أبا جعفر.

فلما حضر أوان الحصاد، زار أبو جعفر حديقته لينظر إلى زرع، فلم يجد شيئا، فتلقاه المشيط بكلام مغضب، فقال، يا عمي أبا جعفر! أفأزرع لك الزرع ويموت أولادي جوعا!

فخرج أبو جعفر وهو يقول: سلاما، "سلاما"، امتثالا لقوله عز وجل:

"وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما".

قال أبو الربيع، مررت أنا وخالي عبود بن منار ذات مرة على أبي جعفر، فأهوى بيده إلى جيبه، فأخرج منها صرة دراهم، فناولنا منها، وقال: امضيا إلى السوق واشتريا خبزا نقيًا حراريا. فقلنا له، تغدينا بعد، يا شيخ، فقال، الحمد لله، فرد صرته إلى جيبه.

قال أبو الربيع، نزل أبو عمر بن موسى بن زكرياء ذات مرة إلى قسطنطينية، فالتقى مع أبي جعفر، فقال له أبو عمر أن امض بنا إلى الغاية، امرأة أبي القاسم نزرها. قال أبو جعفر فمضينا حتى دخلنا عليها، فسألناها عن

(1) ترجم له الدرر جيني باسم أبي جعفر أحمد بن خيران الوسياني (وهكذا نسب الشماخي أيضا) ووصف بالاجتهاد العظيم ولكنه قال أنه "ليس بكثير في العلم، ولو أنه" "حاز من التقوى الخلاصة". الطبقات (403/2 - 404) السير (ص 398).

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) مشطر.

أحوالها، ثم سألت عن امرأة ذهبت إلى الوادي تغتسل فيه. فقد اصطحبت مع [ها] غيرها، دفخلت الماء في ثيابها وجعلت فوقها ستارا آخر. فقال أبو عمران: أيما امرأة ذهبت إلى الوادي تغتسل فيه، فستعوم في سبعة أودية من نار!

فلما سمعت ذلك منه تغير لون وجهها، فقالت: هل من رخصة؟ فرخص لها إذا فعلت ما ذكرت من السترة والحارس، فرد عليها السؤال، فقال: ما تقولين أنت؟ فقالت: نعم. سمعتها من كتاب أبي يونس^(أ) ابن دميم^(ب).

وروي أن هذه المرأة نعي لها ولد مات في السفر فقامت تصلي، فقالت: اخبرني ما فعل لون وجهي حين سمعت الخبر؟

قال أبو الربيع إن أبا جعفر ذكر أن عبود الكزيني^(ج)، وكزينة قبيلة من مزاته، نزلوا في موضع يسمى زرزور، وهو ما بين توزر⁽¹⁾ والحامة⁽²⁾ فقصد عبود ذات مرة ناقة له عشراء فرقت من أولاده⁽³⁾ وذهبت ليلا. قال فلما كان من الغداة غدا التي فدعاني فمضينا نفتش وراء الناقة فوجدناها باركة قد أكل الذئب ما بين عجانها وذنبها.

قال، فأثرناها⁽⁴⁾ وسقناها إلى المدينة، فصارت إذا وقفت اوقفت إحدى أرجلها واستتقع الدم من أثرها.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): كتاب سعيد بن يونس.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب): يونس بن واسيم.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب): المكزينة.

(1) تعتبر توزر أكبر مناطق الجريد التونسي، على المضيق الذي يفصل بين شط الغرس في الشمال، وشط الجريد في الجنوب. والمدينة (توزر) تقع على مسافة 230 ميلا إلى الجنوب الغربي من مدينة تونس. وحول المدينة قرى متناثرة هنا وهناك في اتجاه الجنوب على نحو أربعة أميال. وصفها البكري، فقال إنها "مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب، لها جامع وأسواق كثيرة وحولها أرباض". وتحدث الأديسي عن أهمية توزر الاقتصادية، فقال إن "بها نخل كثير جدا وتمر كثير يعم بلاد افريقية، وبها الاترج الكبير الحسن الطيب، وأكثر الفواكه التي بها في حالة معتدلة". وهذه الأوصاف تتفق ما ذكره ابن حوقل الذي يسمي هذا الاقليم قسطنطينية، ولكن هذا السائح يقول انه لا يزرع فيها من القمح والشعير الا شيء تافه. راجع صورة الأرض (ص 92) البكري (ص 48) معجم البلدان (57/2 - 58) القارة الافريقية وجزيرة الاندلس للأديسي، ص 178 - 179، (ص 104 - 105) رحلة التجاني (الفهرست) وأنظر كذلك: Berbrugger Itinéraire Archéologique en Tunisie, Revue Africaine, 1858; Dollin du Fresnel, le Djrid Tunisien, مجلة الجمعية الجغرافية التجارية، باريس 1900.

(2) وتسمى أيضا الحمّة. والمقصود هنا، حمّة البهاليل، بمنطقة توزر، وليس حمّة مطماطه التي وصفها التجاني في رحلته (ص 134 - 135). أنظر البكري (ص 48).

(د) كذا في (أ). وفي (ب): الولادة.

(هـ) كذا في (أ). وفي (ب): فانجزناها.

قال، فقلت له ما هذا، يا شيخ، كيف تصاب هذه البهائم ولا جرم لها !

قال، نعم. يفعل الله ذلك بالبهائم والحيوان ولا جرم له لهؤلاء الذين يحتملون الاعتبار ليعتبروا بما نزل بمن لا ذنب له.

قال أبو جعفر، فلما قدمنا المدينة، قدمها الى السوق وباعها بما بلغت من الثمن، واشترط معه رطل لحم.

قال، قلت له، أيجوز ذلك ؟ قال، نعم. انما يكره أن يستثنى منها رطل لحم.

وذكر أبو الربيع أن جابر بن سيد رمام^(أ) أضاف أضيفا، فلما طلب خليفة بن ترزورغات^(ب) أن يصطحب مع الأضيف، فأبى عليه، فألح عليه، فقال : يعلم الله أنني لا أمثل. فقال جابر، سر ان شئت، أودع. فقد وجبت عليك كفارة.

وانما أوجبها عليه أنه حلف عمالا يدري أن يكون. أم لا. وكل حالف على الغيب يحدث في يمينه، وافق أم لم يوافق. وقيل غير ذلك اذا وافق.

[عن] أبي الربيع سليمان بن يخلف، رضي الله عنه، عن قاسم بن مكطود أن^(ج) خليفة العاصمي اللواتي ذكر كلاما ما تكلم به في المشائخ أبو نوح، سعيد بن يخلف^(د) قال فقلت عجا لهذا الشيخ، كيف يأخذ الصدقات، وعنده من هذا المال ما ترى.

قال، فبت في ليلي، فرأيت في المنام فكأبي كشفت عن كتفي الشيخ أبي نوح فكشفتة عنها، فاستيقظت وفي فمي أثر من ريح اللحم، ومراده، من

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : جابر بن سدرمام.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : تازورغات.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب) مكتودان.

(د) ترجم له الدرجيني في الطبقات، ووصفه بأنه "ممن سلك مسالك الأخيار، وحافظ على احياء السير والآثار". راجع الطبقات (367/2 - 369). أنظر ترجمة تركيبيه حسنة له في «الاباضية في الجريد» (ص 198 - 199).

طعمة اللحم. قال، فبزقت، فلم يغن عني شيئا، فمضيت الى الوادي فمضمت، فلم تغن عني شيئا، فتوجهت الى الشيخ أبي نوح، وهو اذ ذاك في التراب، فقلت له : اجعلني في حل مما قلته فيك، وقصتي كيت وكيت، فأتييت على القصة كلها بأسرها، فقال لي : أنت في حل، وقد علم الله أن تلك الأموال للنساء. قال، فكانت له عدة من النساء.

قال، فزالت المرارة في فمي حينئذ وما كنت أجده من طعم اللحم. ولمثل هذا ينبغي ألا يتقدم الرجل في الكلام في أخيه المسلم، ولا يظن به ظن السوء، ما وجد الى ذلك سبيلا.

قال الله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، ان بعض الظن اثم" الآية كلها.

وذكر عن الشيخ أبي نوح سعيد بن يخلف، رضي الله عنه، أنه قدم ورجلان زائرا، فرأى قوما يغتسلون ويتوضئون في ساقية، ويطلعون من الساقية حافية أرجلهم ويمشون على مرابط الابل والغنم ومستقى الناس والبهائم، فانتهرهم، وقال، فاذا الذي يقول المشائخ صدق من أن ورجلان ترجع الى مذهب الحشوية.

وكان كثير الترحج والنزاهة فيما يطهر وينجس، حتى اتخذ ثيابا للصلاة سوى التي يلبس، وكان يجعلها في الخرج ولا يلبسها الا في حالة الصلاة، وكان لا تفوته، ولو في السفر. وقد كان هذا الشيخ اجتمع في مجلس مع الشيخ أبي نوح سعيد بن زنگيل فجرت بينهما مسألة، وهي أمة تصلي مكشوفة الرأس، فأعتقها سيدها في حال صلاتها. فقال أحدهما، ليس عليها اعادة الصلاة ولا تغطي رأسها. فقال الآخر عليها أن تعيد صلاتها. فبينما هما في ذلك المجلس والنادي، اذ ورد عليهما الشيخ أبو عمران، موسى، بن أبي زكرياء، رضي الله عنهم، فقال سعيد بن زنگيل، قد جاء من هو خير منا.

قال فسألاه عنها، فأفتاهما بموافقة أحدهما. وكان الشيخ أبو نوح سعيد بن زنگيل، رضي الله عنه، مع ما أعطاه الله من المنزلة، كثير التواضع والانقياد، رحمه الله.

ولقد قال فيه أبو عبد الله محمد بن بكر، ما أدركت، فيما أدركت، أفضل منه .
وذكر عنه أنه قال في حديث : لا تسوى نفسي عندي هذا كله، وعقد على يديه الصفقة⁽¹⁾ ولا أحب، مع ذلك من يواجهني بالحفرة .

وحكي عنه أنه إذا أضاف الأضياف، أحسن القيام بهم ويواليهم ويقف عليهم بنفسه، ولو كانوا أولاده. فإذا قالوا له، اجلس، قال لهم، ان الرجل يقف للبهائم، وكيف بالرجال. فإذا أضافه غيره، قال لمن وقف عليه، اجلس، فان الوقوف على الضيف شينة لذهنه، ولا لزوم له .

ذكر أخبار أبي الخطاب عبد السلام بن منظور بن أبي وزجون (ض)⁽¹⁾

كان أبو محمد يوجين اليفرنى يقول له، عبد السلام يريد أن يرقد في موضع يتيسر له فيه الوصول الى الماء للوضوء. وكان عبد السلام يقعد في المجلس حتى يقوم فيرقد في موضع يتيسر له فيه الماء، فقلما ينام حتى يأتيه أبو محمد يوجين ويقول : عبد السلام، قم، أي بني، انما أصاب المسلمون الجنة بترك شهوات الدنيا. والنوم من شهوات الدنيا.

فلما عزم الشيخ أبو عبد الله على الرحيل، سرحه الله بتلاميذه، وانتقل بتلاميذه الى أريغ⁽²⁾ فعزموا فيه عزما شديدا جيدا مواظبا برهة من الدهر، وكان فيهم عبد السلام .

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : وعرض على يديه الصفقة .
(1) ترجم له الدرجيني واعتمد كثيرا في هذه الترجمة على المعلومات التي استقها من سير أبي الربيع الوسياني، كما اعتمد الشماخي بدوره على الدرجيني في ترجمته لأبي الخطاب عبد السلام المزاني. وقد وصفه الدرجيني بأنه "ممن انتفع بكثرة الجهاد وانتفع به كثير من العباد". راجع الطبقات (404-408) سير الشماخي (398-399).

(2) أريغ، كلمة بربرية معناها السبخة، وهي منطقة تمتد في جنوب شرق الجزائر، بها كثير من القرى، وأهم مدنها تقرت. وقد وصف الادريسي المنطقة بأنها "أرض متسعة وحروث ممتدة وفواكه وبساتين، ولها سوق صالحة تقصد في يوم معلوم في كل جمعة يباع بها ويشترى، وتقضى منها حوائج... وقال ان بها مياه كثيرة وعيون مطردة. وقد ذكر ياقوت ريف ونسب اليها هارون بن النصر الريغي. راجع الادريسي (ص 85) معجم البلدان (113/3) وكذلك : Basset (R.), Etude sur Zmatia du Mzab de Ourgla et de Righ, Publication de l'Ecole des lettres d'Alger, 1892 ; Xavier de Planhol, les fondements géographiques de l'Histoire de l'Islam, p. 187.

وقال له أبو عبد الله، كن معي يا عبد السلام، فان مثل من يرفع الناس اليه حوائجهم ويدعو، مثل من كان في الحرب، لا غنى له عما يرباه ويحرسه ويؤيده ويمده ويرفعه⁽¹⁾ ويدعمه ويدأوي جراحته ويسوي خلله، والا كان [هلاكه] وشيكا .

فأجابه الى ذلك، وزوجه أبو القاسم ابنته، فمكث في ذلك ما شاء الله، ثم طلع الى أهله في مزاته. فلما وصل اليهم، قالوا له، لم تتركنا ؟ امكث معنا كما فعل والدك، فتحيننا كما أحيانا، فإننا لا غنى لنا عنك، فأجابهم الى ذلك، فزوجوا له زينب بنت أبي الحسن، فنزل الى أريغ ومعه ما تيسر له من صداق ابنة أبي القاسم، فطلع الى أبي عبد الله محمد بن بكر، فقال : قد قضى الله بفراق ابنة الشيخ، فحئت بما أمكن من صداقها، والباقي أوفيه ان شاء الله، فأخبر أبو عبد الله أبا القاسم بذلك. فقال أبو القاسم، معاذ الله أن آخذ من عبد السلام عرض الدنيا، وانما جمعنا وياه أمر الدين والاسلام. أشهد أنني نزعته لابنتي ما كان لها على عبد السلام وتركته له. فلم يقنع بذلك عبد السلام حتى شافه المرأة نفسها وأبرأته من صداقها.

فقال له أبو عبد الله، الذي يقول لك قومك ارجع الينا [لتحينا] كما أحيانا أبوك، انما [معناه] هو أن ينظمس ويندرس ما عندك. فرجع الى أهله وكان معهم حتى قامت به طعائن^(ب) زناته الى ناحية طرابلس فكانوا فيها ما قدر الله حتى انهزمت منها زناته⁽¹⁾ فطلع عبد السلام الى جبل نفوسة .

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : يرفده .

(ب) في (أ) و(ب) : ضغائن .

(1) يعود أصل زناته في الرواية العربية الى مدغيس الابتر (بينما تنحدر صنهاجة من برنس أخ الابتر بن بر) وقبائل زناته رحل في مجموعهم (بينما كانت صنهاجة في معظمها من القبائل المستقرة) يرجعون الإبل ويعيشون في معظمهم في الصحراء التي تمتد بين غدامس وصحراء المغرب الأقصى. ولغة زناته هي اللغة البربرية التي لا تزال اللهجة السائدة في وادي ميزاب وورجلة ووادي ريف وفي جبال الونشريس وفي شرق المغرب الأقصى أهم فروعها. ومن أهم أفخاذ زناته، بني يفرن، وجراوة، ومغراوة. وكان لزناته في المغرب عدة دول منها دولة أبي قررة الخارجي اليفرنية التي كانت تلمسان قاعدتها، وكانت معاصرة للدولة الرستمية. وكذلك كان أبو يزيد، صاحب الحمار، الناصر على العبيدين ينتمي الى بني يفرن. ومن اقوى عناصر زناته وزعمائها، زيري بن عطية الذي وقف شوكة في جنب دولة صنهاجة في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وبنو خزر الدين كان ينتمي اليكم الذين كانت أراضيهم تمتد في غرب وهران وشرق المغرب الأقصى. راجع عن قبيلة زناته، العبر الادريسي (ص 87-88) البكري (الفهرست) Xavier de Planhol, les fondements géographiques de l'Histoire de l'Islam (p. 133 et 141) ; Lombard (M), l'Islam dans sa première grandeur, Paris 1971 (الفهرست) ; Fournel, les Berbères, Paris, 1875 ; Marçais (G), les Arabes en Berbérie, Paris, 1913 ; Basset (R), Etude sur la Zanatia du Mzab, de Ouargla de Oued Righ.

قال فما ظنك لا خذه باذنك ؟ قال ، لئلا أنسى (أ) .

وأخبرني يعقوب بن أبي القاسم بن أبي عبد الله (1) أن محمد بن بكر، رضي الله عنه، وجه إليه ذات مرة رسولا، فقال للرسول فليل للرسول هو في جنانه، فان هذا [من] أيام نوبته. قال فوجدني الرسول في الجنان، فقال : أجب الشيخ، فأتيته، فقال لي : لعلك فزعت، يا يعقوب ؟ فقلت، كيف لا يفزع المسيء (ب)، وقال انما بعثت اليك في قصة يسجا بن منصور. رأيي ممسكا سكيناً فقال لي : لم أمسكت السكين يا أبا عبد الله ؟ فهل ترى، يا يعقوب أن أخشى من ذلك ؟ ثم قال له، ارجع الى ضيعتك، وذلك في وقت تحرك فيه ما بين الوهبة (2) والمالكية، بسبب ما بين ورتاجن، وهبية، وبين عبدون (ج)، مالكية على بنيانهم المسجد في دفسين.

قال أبو الربيع، سألت الشيخ أبا عبد الله عن الأكل بالدين، ما هو ؟ وهل هو مثل الذي يفعله أهل الدعوة، ويصنعون لجماعة التلامذة، مثل الدولة وغيرها، من الابرار والضيافة فليل له، أعالم هو ؟ قال، فيقال هو عالم بالله،

(أ) كذا في (ب). وفي (أ) : فما ظني لاخذه لاذني لئلا أنسى .

(1) راجع روايات أخرى عنه في طبقات الدرجيني (381/2 و 383).

(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : ثم قال، فكيف لا يفزع المسيء.

(2) هم أتباع عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي، من الخوارج : عرف بعلمه وفصاحته وسداد رأيه، وهي الخصائص الأساسية التي أهلته لأن يكون أول من طبقت عليه نظرية الخوارج القائلة بأن الخليفة ليس من الضروري أن يكون قرشياً، وذلك حين يابعوه وسموه "أمير المؤمنين". وكان عبد الله قد شهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وكان في صف علي في حروبه، حتى وقعت قضية التحكيم الذي ينكره عليه الخوارج، وفي مقدمتهم عبد الله بن وهب، وتحولوا على علي وقاتلوه في معارك مشهورة في التاريخ الاباضي، في النهروان، حيث قتل عبد الله بن وهب في سنة 38 هـ. وقد وصف المؤرخ الاباضي، أبو العباس الدرجيني بيعة عبد الله بن وهب في العبارات التالية : "لما كان من أمر الحكمين ما كان، ونجاة من نجي من تلك المحن والافتنان... أرادوا (الخوارج) تولية رجل منهم يعتمدون عليه في أمورهم ويطبق على طاعته رأي جمهورهم، فعزموا على تولية عبد الله بن وهب، ففكر ذلك وأباه، فلم يريدوا غيره ولم يرضوا سواه (...). فاباعوه وكان ذا رأي وحزم ودين وعلم، وقع الائتلاف حوله، وارتفع في أيامه الاختلاف". الطبقات (201/2 - 202) الكامل للمبرد (119/2) فجر الاسلام (ص 256 - 260).

(ج) كذا في (أ). وفي (ب) : حيدوس.

عالم بالله، عالم بنفسه (أ) وقد كان سئل عن شيء يسمى بتجرب بالبربرية، وهو أيضا أكرآن (ب) هل يضرب بها في المسجد، فقال ما رأيت رجلاً من الصالحين يقترب بها في المسجد. فقالوا، من هو ؟ فقال لا أخبركم به حتى يخبروني اذا كان جائزاً أم لا. وهذا منه تورع وتحرج.

ذكر يونس بن أجاج عن عيسى بن يركسكن (1) رحمه الله، قال انه قال جرننا على أبي صالح بجماعة من العزابة بالغيران المعروفة بغيران بن أجاج، فتنا عنده، فكانت العزابة تقر القوافي وترد عليهم الجن.

وحكي عنه أيضا أنه قال، قد ذهبت البراهين والبركات، فلم يبق منها غير مصباحين يوقدان لي، واحد عن اليمين في ناحية المغرب، وآخر عن الشمال، على شرق الغار.

ذكر سليمان أبو موسى، عن عمر رحمه الله أن أبا صالح خرج من ورجلان لأجل فتنة وقعت فيه، خرج منه واتبع أجلا له في نواحي أدرج، ومكث في تلك النواحي نحو سبع سنين وصادف في منزل أدرج شيخاً عليه حلقة التلامذة، فيهم ثلاثمائة تلميذ.

فلما شخض من عندهم، شيعه الشيخ مع العزابة، فصاروا يرجعون حتى لم يبق منهم غير شيخ الحلقة. وقال له أبو صالح، أخبرني يا شيخ، بأي شيء تدرك الدنيا، ألبتجارة ؟ قال، لا، فقال له أباالحرث ؟ فقال لا. قال الشيخ، انما ندرك [الدنيا] بدعوة المسلمين، اذا صادف لهم حاجة.

وقيل استدان من تلك الناحية ديناً، نحو عشرة دنانير واشترى بهم حوائجه، قيل ان ذلك قطران (...). (د) به إبله، فقدم ورجلان وحملهم منها، فمضى بهم ليدفعهم الى من له ذلك، فمر بطريقه يقوم يعملون المعروف، فأراد في نفسه أن يدفع لهم منها ديناراً، وخشي من الدين والتبعة أن تبقى عليه، فحمل نفسه ودفع لهم ديناراً من عشرة، وبقي تسعة، فلما قدم على صاحب الدين، عد الدنانير، فاذا هي عشرة، والحمد لله كثيراً.

(أ) كذا في (ب). وفي (أ) : هو عالم بالله أعلم بنفسه.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : لكران.

(1) ترجم له الدرجيني باسم أبو موسى عيسى يركسكن ووصفه بأنه "الشريف نسباً، الطيب مكسباً، الرفيع مطلباً، الهاشمي، العربي، ابن عم النبي". الطبقات (453/2 - 455).

(ج) كذا في (أ). وفي (ب) : يركسكن.

(د) في (أ) يهرى به. وفي (ب) : يهني به، قرأت اعتماداً على الدرجيني.

وذكر أيضا أبو الربيع سليمان بن موسى بن عمران، رحمه الله أن أبا صالح ساق جمالا له من القبلة لبييعهم في ورجلان، فاشترى منها رجل جملا، فسأل الرجل الثمن، فقال له، ثمن حملك في تأكدت، "فجهز أبو صالح للسير معه الى تأكدت (أ) فأخذ جملا ليركبه، فقال له رجل آخر، أحمل لي على حملك حمل ثياب، فأجابه الى ذلك، ثم قال له أبو صالح، بكم أبيع حملك؟ قال، بكذا وكذا. فوصل الشيخ تأكدت، فساوم الحمل، فبقى عما رسمه صاحبه شيء يسير نحو ثلاثة أرباع القيراط، فلم يبعه، فقفل راجعا الى ورجلان، وما سمعنا بحمل رجع من تأكدت قط الى ورجلان غيره. والحمد لله رب العالمين.

وكان لأبي صالح ولدان، أحدهما سليمان والآخر صالح، وبه يكتنى. وكان يقول، ما فعل ابني صالح (هو المهم)، وأما سليمان، فلا أسأل عنه، وقد رضي عنه المسلمون.

وكان يقول أيضا، اذا نظرت الى ولدي سليمان وعمران بن زيري وتسودر، أقول في نفسي لم أبت عاديا (ب).

وكان سليمان هذا وعمران بن زيري وتسودر بن سليمان، يقول بعضهم لبعض : سيروا بنا لزيارة الأخيار، وأما هذا الشيخ - يعنون أبا صالح - لو أقلع (ج) وسكن بين ظهران المشركين فاقبل (د) ما تبدل ولا تغير.

قال أبو الربيع، قال أبو صالح الياجراني، رضي الله عنه لأبي عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه، ما أدركت في يا محمد وقد رأيتني وشعر رأسي صار كالثغامة وجسدي مهزولا، وصارت لحيتي كالصفار، ولو علمت ما جاز علي من الشجاعة والقوة والعمادة (هـ) والقراء والمعروف والمواساة؟.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : لم أتب عادى.
(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : لم أتب عادى.
(ج) كذا في (ب). وفي (أ) : لو أقام.
(د) كذا في (أ). والكلمة غير واردة في (ب).
(هـ) كذا في (أ). وفي (ب) : والعبادة.

قال، ليس كذلك، انما هو ما يصنع حين يرفع الناس اليه حوائجهم، اذا احتاجوا اليه صنعوا له الجميل ويعز عليهم ويكبر. واذا لم يحتاجوا اليه رفضوه ونبدوه وتركوه جانبا ومن حطامهم خائفا كالعيران والميزان (أ). نعوذ بالله من الناس ومن غضب الجبار.

أخبار أبي صالح تابركت الياجراني من بني غسيرت (ب) رحمه الله (1)

أخبرنا أبو الربيع، سليمان بن يخلف، رضي الله عنه، أن أبا صالح الياجراني (ج) كان رجلا مجتهدا في العبادة، ذا شهرة في الخير، مذكورا بالزهد في زمانه، ولم يعرف في زمانه أعبد منه.

قال أبو الربيع، قال لي خالي، عبود بن منار، اتبعت الشيخ أبا صالح ذات ليلة، فقد ذكر عنه أنه يصلي في ليلة الجمعة في مساجد وارجلان أجمع، واتبعته ليلة أنظر ما يصنع، فكلما دخل مسجدا صلى فيه قدر الله، وأصلي أنا أيضا حتى ينصرف، فأنصرف. اتبعته في مساجد عدة يصلي فيها وأنا تابع له، حتى دخل مسجدا فدخلت خلفه، فصار يصلي فيها وأنا يراودني النعاس، فأسندت [رأسي] الى عمود المسجد، فذهبت في النوم، فانتبهت، فاذا هو قد ذهب، وقصد لا أدري بعد أين ذهب (د).

(قال) أبو الربيع، كان أبو صالح يحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن بكر، فحضر مجلسا له ونادى ذات مرة ذكر فيها التخويف والتحذير. فقال له أبو صالح : أليس يقال، يا محمد، الجنة في آخر الزمان أرخص من حمار دابر؟ قال، نعم، ولكن أرايت ان وجدت في السوق جملا ينادى عليه بقراط ولم يكن عندك، أني لك به.

(قال) أبو الربيع، كان الشيخ أبو عبد الله يذكر فضائله وهذا منه ذكر ما كان

(أ) كذا ورد في كلتا النسختين.

(ب) كلمة "من بني غسيرت" وردت زيادة في (ب).

(1) ترجم له الدرجيني ووصفه بأنه "أعبد العباد، وأزهد الزهاد"، وقال انه كان لكثرة زهده يحسب أن ذلك منه بله، وبعد ذلك، نقل الدرجيني كثيرا من الأخبار والقصص التي أوردها عنه أبو الربيع والوسيانى.

راجع الطبقات (372/2 - 376)، أيضا أخباره كذلك، في سير الشماخي (ص 463).

(ج) كذا في (أ). وفي (ب) البجني.

(د) كذا في (أ). وفي (ب) : لا أدري بعد أي صقع ولا الى أين ذهب وسكع.

فقط، ولم يرد بذلك طلب محمودة ولا رياء ولا سمعة، ولكن ذلك من نقاوة النفس والتقوى وطيب الشيم^(أ) والطبيعة، وإن باطنه كظاهره.

وكلما رأى من البراهين والكرامات والعلامات، أخبرنا عنها ونحو ذلك مما ذكره في تفسير قول الله عز وجل، حكاية عن موسى، اذ يقول: "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا"، ولم يرد به شكاية ولا كراهية، ولكن ذكر ما كان، لا لغير ذلك والله أعلم.

وكان أبو صالح، اسمه تبركيت، اذا كتبوا له سورة من القرآن في اللوح، يقرأها أياما عدة حتى تندرست وتنطمس من اللوح الكتابة فيغسلونه ويعيدون كتابة تلك السورة التي غسلوها من اللوح، ويقول لهم: ما أحسن هذه السورة، يا ابن أخي، أترون أنني قرأتها قط!

وذكر يونس بن أجاج أن أبا صالح تبركيت الجبراني، كان قائم الليل، صائم النهار، وكان يقول: عبادة الليل كله، ثلاثمائة ركعة، في كل ركعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد ثلاث مرات.

وذكر أبو الربيع، سليمان⁽¹⁾ بن موسى بن صالح بن أبي صالح تبركيت الجبراني (أنه) بعث إلى أبي حذرون الواسي^(ب) في ناقة يستنتج منها نسل الحلال. قال أبو حذرون أشهد أنني قد أعطيت لصالح نصف ابلي كلها، وكان اذا باع ما يصلح للبيع منها، بعث لصالح نصف ثمنه.

وذكر محمد بن مانوح^(ج) أن عمران بن زيري بعث مع رجل من بني ياجرين حمل ثمر إلى أهل البوادي ليبيعه فيهم، وفيها "ثميرات حوليات"^(د). فلما قدم بما أصاب بتلك الثمار من الصوف وغيرها، سأله عمران، هل أخبرت عما فيها من الثمر الحولي، فقال له، لا. وقد كان قال أخبره عنها. فقال له عمران: هات تليسي وأترك ما سوى ذلك، تحرجا.

(أ) في كلتا النسختين: وطيب الخيم.

(1) راجع ترجمة أبي الربيع سليمان في سير الشماخي (ص 463) وأنظر أخباره أيضا في ترجمة الدرجيني لأبيه في الطبقات (375/2) وكذلك في سير أبي زكرياء (طبعة الديوان، ص 281).

(ب) كذا في (ب). وفي (أ): الواسي.

(ج) كذا في (ب). وفي (أ): ابن نوح.

(د) كذا في (ب). وفي (أ): وفيها تيرات.

قال أبو الربيع: أعطي عمران بن زيري لأبي عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه، عظم لحم شاة، فاذا سائل وقف عليهما، فقال، اعطوني شيئا. قال فابتدر عمران العظم من يد أبي عبد الله وفيه، فأعطاه السائل، "وقعدا ومضيا على حديثهما"^(أ).

وكان أبو عبد الله اذا حدث بهذا الحديث يقول: أين من يفعل مثل هذا، سوى عمران؟ شكرا لما صنع.

وذكر محمد بن مانوح أن عمران أمسك دراهم في يديه، فنظر في الزقاق، فرأى خرقة فتناولها ليصر فيها الدراهم، ثم بدا له ورمى بها حذرا وتحرجا. وذكر عن ابنه نوح، قال قام عمران ذات ليلة، أو ذات مرة، وفي يده صرة دراهم، فلما انتبه من نومه، اذا الصرة وقعت من يده فتركها ولم يأخذها. فقال له والد نوح، هذه صرتك، فمضى ولم يأخذها.

وقيل ان امرأة التقت مع عمران، فقالت له: أنا امرأة من ذوي أرحامك يا عمران. فقال: اجعليني في حل مما ضيعت من حقوقك.

قال أبو الربيع، سار جماعة من أهل ورجلان⁽¹⁾ وفيهم عمران بن زيري إلى جربة، فوافوا المسجد الكبير حين حضور صلاة الظهر، فطلع عليهم أبو

(أ) هذه الجملة غير واردة في (ب).

(1) ورد ذكر ورجلان (وارقلة حاليا) في أعمال الجغرافيين العرب بأشكال متعددة: واركلان، وارجلان، وارجلن، ورجلن، ورجلان، وارقلان. ضبطها ياقوت ورجلان، وقال انها "كورة بين افرقية وبلاد الجريد (كذا) ضاربة في البر، كثيرة النخيل والخيرات". ورسم الادريسي الكلمة: وارقلان، وقال ان فيها "قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة، وبلاد ونقارة، فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم. وهم وهبة (أنظر هذه الكلمة في هامش أعلاه) اباضية نكار، خوارج في دين الاسلام". وجاء ذكرها في كتاب الدليل لأبي يعقوب الوردجاني (500 - 570 هـ): ورجلان. وذكرها ابن خلدون مكتوبة بالكاف آخرها لام وبدون نون، وشكلها بالحركات، مكسورة الراء. وهذا التشكيل غفل عنه المرحوم ابن تاوريت الطنجي الذي أوردها في التعريف بابن خلدون، وشكلها: واركلان. وورجلان، فيما يبدو مشتقة من اسم وركلا، اسم قبيلة من بطون زناته (ومن هنا، ربما كانت تسمية ابن خلدون أقرب إلى الصواب من غيرها). والمدينة عرضها الشمالي 32°، وطولها الشرقي 25°5، وتقع في جنوب مدينة تقرت في واحة وفيرة المياه والكلا والنخيل. وهي الآن قاعدة ولاية في التقسيم الإداري الجديد في الجزائر. راجع معجم البلدان (37/5) البكري (ص 77 و 182) العبر (في عدة أماكن) التعريف بابن خلدون (ص 155) الادريسي (الفهرست) رحلة العمياشي (الفهرست) طبقات الدرجيني (2/ الفهرست) بغية الرواد (23/2 و 32) تاريخ الجزائر العام (الفهرست) مقالة الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في مجلة الأصالة عن كتاب الدليل والبرهان للوردجاني (يناير 1977 - ص 162 - 171) (الفهرست) Gsel (st.), Atlas Arch. de l'Algérie, F. 26. (الفهرست)

Fagnan (E), Extraits inédits

زكرياء بن أبي مسور⁽¹⁾ رضي الله عنهم، فأتوا⁽²⁾ لمعانقته. فقال لهم عمران، انه لا يضافحكم في هذا الوقت. فلما قابلهم، قال لهم، سلام عليكم، فعدل عنهم، واشتغل بوظائف صلاته. فاغتسل وصلى، ثم عطف عليهم وصافحهم، وعانقهم بأجمعهم، رضي الله عنهم جميعا.

وذكر محبوب بن أبي عبد الله السدراتي⁽²⁾ أن عمران بن زيري سار بهم هو وأصحابه. قال فيقولون : سيروا بنا لرؤية الأخيار. قال فجرنا أريغ، فقال، سيروا بنا لرؤية الأخيار، حتى وصلنا جربة في زمان المشائخ أبو صالح، وأبو زكرياء، قال لنا : هل رأيتم الأخيار ؟.

وذكر لنا أنه سار ذات مرة وخلفه أمه تتبعه، فسمعتة يتكلم ويقول : ما أحسن رجالا رأيت ! فقالت له أمه، ومن أولئك الرجال ؟ فقال، أهل جربة.

وكان يقول لنوح بن المناسك، زر الأخيار، يا نوح، فان مثل من يلحق الأخيار، كجرو لم تفتح عيناه. وقال : كيف يصلح من لم ير مصلحا !

وذكر سليمان بن موسى بن زنگيل، لما وصلوا جربة، سألهم من بها من الأخيار عن أفضل من قدموا به. فقال لهم : عدل بن اللؤلؤ، وموسى بن زنگيل التناوتي، فسألوا عدلا عن أهل جربة. فقال أفضل من قدمنا به (هو) موسى بن زنگيل.

”ثم سألوا موسى بن زنگيل عن أفضل من قدموا به، فقال، نعم، هو عدل بن اللؤلؤ“ (ب).

وذكر سليمان بن موسى أن عدلا أخذ يوما في صلاة الضحى، فناداه رجل في شأن جمل له يريد أن يبعثه الى الشب، ولم يرد أن ينفلت من صلاته حتى

يأخذ حظه منها، فسافر مسافرو الشب وفاتته صحبتهم وتخلف الجمل عنهم، فأصيب أولئك المسافرون وعصم الله جملة من صحبتهم، فحمد الله الذي يسلم من توكل عليه.

وكان عدل مشهورا في العبادة والورع والسخاء، وكان مؤذنا اذا أذن لصلاة المغرب صلاها، ويعطي له من كوة في جدار المسجد ما يطر به، وكانت داره قدام المسجد، فيقوم⁽¹⁾ الى ركعتين، فيقرأ في الأولى سورة البقرة، وفي الآخرة قل هو الله أحد، فيسلم ويخرج ويؤذن للعتمة.

وكان ذلك دأبه ما بين صلاة المغرب والعشاء. وكان رجلا جهير الصوت، صبيتا، اذا أم ”القوم في الصلاة، صلى بصلاته من كان في موضع يسمى تمانتسيت.

وذكر سليمان بن موسى رضي الله عنه أن رجلين من أهل ورجلان، أحدهما يسمى صالح الصادق، قدما الى تين باماطوس⁽¹⁾ فتلقاهما موسى بن زنگيل، فطلبهما الى النزول، فقالا له، دعنا، فإننا قصدنا من هو أسخى منك، يعنيان عدل بن اللؤلؤ، رضي الله عنه.⁽²⁾

فقصدا عدلا، فجعل لهما على المائدة ثلاثة أرباع الشاة.

وذكر محمد بن نوح أنه اصطحب معه والدته، أم المؤمنين بنت حمو بن اللؤلؤ⁽³⁾ رحمه الله، في زيارة اخوتها، وهم اذ ذاك في أندرا. قال، فسرنا حيث شاء الله في البيداء فتكلمت، فقالت اني اشتيت لحمًا، لو وجدته ها هنا، فقالت لي : تعال ندعو الله أن ييسره لنا. فقلت لها، وأنا اذ ذاك صبي قد راهقت البلوغ، حرمت على نفسي لحمًا أصبته ها هنا.

قال، فسرنا مليا فرأينا خيمة من بعيد، فاذا بشبه امرأة متقنعة بقناع أسود خارجة من باب الخيمة، فأشارت إلينا أن نقعد.

(1) راجع أخباره في طبقات الدرجيني (167/1 - 168) الذي ينقل معظمها عن سير أبي زكرياء (المخطوطة ورقة 134) سير الشماخي (ص 371 - 372).

(أ) كذا في (أ) وفي (ب) : فتهيئنا.

(2) راجع أخباره في طبقات الدرجيني (187/1 - 188).

(ب) هذه الفقرة محذوفة في (ب)، وقد وردت على الهامش في (أ).

كذا في (ب). وفي (أ) : فيطول.

(1) مدينة تقع في الطرف الغربي من جبل نفوسة. راجع تسمية شيوخ نفوسة وقراهم (ص 21 تعليق 20).

(2) راجع أخباره في سير الشماخي (ص 513).

(3) راجع أخباره في طبقات الدرجيني (154/1 - 155 و 81/2) سير الشماخي (ص 517 و 541).

قال، فقعدنا، فجاءت بظهر شاة فحطته على نبات الأرض، فأخذت تسلك من جانبه وتعطيه لوالدتي، فتأكل منه وتستلذ به وتقول: هذا ابني، فأومأت المرأة إليه أن لا، فأكلت أُمي حتى قضت شهوتها وحاجتها ولم أذقه.

وذكر أيضا أبو محمد. نوح، أن والدته أم المؤمنين، حضرت دفن أبيها، حمّو بن اللؤلؤ، وهي إذ ذاك صبية. قالت فنظرت إلى قبره حين رجع عنه الناس، فرأيت فارسين أخضرين نازلين من الهواء حتى دخلا في القبر، فمكثا قليلا، فنظرت [المرّة] الثانية فرأيتهما وقد طلعا من القبر وصعدا في الهواء^(أ).

ثم ذكر عنها أيضا أن أباه، حمّو، أرسل عياله ذات مرة إلى الربيع وانتشر في البلاد خبر امرأة أنه تزوجها في السرّ، فبلغه ما نما عنه من ذلك، فأحضر جمعا من الناس، فقال لهم: أنصتوا! فأنصتوا.

فقال، أيها الناس، إنه بلغني أنه أشيع عليّ أني تزوجت امرأة في السرّ. اعلموا اني تزوجت مريم بنت ماسوعي^(ب) بوليها. احفظوا عني أيما رجل تزوج امرأة بغير إذن وليها، انما ذلك الزنى بنفسه، فان ذلك الزنى بعينه.

قال أبو الربيع، كان أبو عمران موسى بن أبي زكرياء^(أ) اذا ذكر بحضرته نكاح السر يغضب حتى تنتفخ منخراه، ويقول: "نكاح السر، نكاح الشر!".

وحكي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت تقول: "أيما امرأة تنكح من غير إذن وليها، فنكاحها باطل". قالتها ثلاثا.

وقيل عن محمد بن سليمان النفوسي⁽²⁾ رضي الله عنه، قال: اذا كان النكاح بغير سنة، صار الولد عقوبة. أي خير يكون في ولد العقوبة.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): طلعا إلى السماء من القبر وصعدا في الهواء.

(ب) كذا في (ب). وفي (أ): اعلموا ان تزوجت امرأة بغير إذن وليها، فان ذلك هو الزنى الخ.

(1) راجع ترجمته في الطبقات (2/388، 401، 407، 410، 411) وكذلك في سير الشماخي (ص 401 و 490) الذي وصفه بأنه "أحد دعائم المذهب ورؤسه، ومن أضاء الله به دجى الجهل وظلماته".

(2) ترجم له الدرجيني وصفه ضمن علماء الطبقة التاسعة (450 - 500) ووصفه بأنه "جال في حلبة المتقين وجمع الله له بين الدنيا والدين" الطبقات (2/417 - 419) سير الشماخي (ص 406 - 407).

وكان أبو الربيع حين سرنا من عنده راجعين إلى بلادنا قال: بلغوا عني عبد الله، ولدي، السلام، وقولوا له، بلغني عنه هذه الخصلة التي في ورجلان، فقد قطعني.

قال، ولقد طفت في تلك النواحي عشرين سنة، فما سمعتها عمن فيه خير. ولكن من أراد أن يسوغ له تخطئة فعل، جعل يحكيه عن الأخيار ويقذفهم به. حاشاهم عن ذلك، لا يرضى بتلك الأفعال من يشفق على نفسه ودينه، والا من اتبع هواه وأثر شهوته.

وذكر محمد بن نوح أن والدته زارها المشائخ في آخر عمرها، فقالوا لها حدثينا بشيء، فقالت لهم ماذا أحدثكم به؟ كل ما دفنه الأخيار من الأوائل، أظهرتموه أنتم أهل هذا الزمان.

ذكر بقية من جمل أخبار أبي عبد الله محمد بن بكر (ض)

حدث أبو الربيع سليمان بن يخلف، رضي الله عنه، أن رجلا من نفوسه كان صاحباً لنيكول^(أ) بن عينا المراتي، رحمه الله، وكان بتاجديت يلازمه في أموره ويسعى له في حوائجه، حتى وصل إلى نيكول من صاحبه عشرون دينارا، فمات نيكول بناحية افريقية في غير بلده، فطلع النفوسي في طلب ماله إلى المشائخ في تاجديت.

فقال له من بها من المشائخ ان نيكول مات في غير بلده ولم يترك وارثا له سوى طفلة ولم يوص بما ذكرت.

فلما أيس النفوسي منهم، سمع بمشائخ من مشائخ أهل الدعوة طلعا إلى قسطنطينية⁽¹⁾ واجتمعوا بقنطرة⁽²⁾ فيهم أبو عبد الله محمد بن بكر بن محمد بن

كذا في (ب). وفي (أ): يكتول.

(1) وصف ابن حوقل قسطنطينية (أو قسطنطينية) بالعبارات التالية "وقسطنطينية مدينة أيضا كبيرة عليها سور حصين ولها نخيل كثير، والتمر والقصب بها كثير، وهي مغوة افريقية بتمورها. وفيها الأترج الكثير الحسن الطيب الزكي". وهذا الوصف اقتبسه الادريسي الذي يضيف إليه بعض المعلومات. أما ياقوت يقتصر على إيراد بعض عبارات ابن حوقل ويشير إلى وصف البكري لبلاد قسطنطينية. راجع ابن حوقل (ص 92) البكري (ص 48 - 49) معجم البلدان (5/348) الادريسي (ص 104) الاستبصار (ص 68). أنظر كذلك تفاصيل ومراجع أخرى في كتابنا، المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي.

(2) تقع قنطرة على مسافة نحو 15 ميلا إلى الشمال من "كباو" تحت سفح جبل، وهي تسمى الآن "تيجي". وقد كانت قنطراه في الماضي مدينة متوسطة الرقعة تحيط بها جنات وحدائق وبساتين ترويه مياه غزيرة، وكانت تنتج أجود الفواكه والتمور، وقد خربها ابن الأغلب عقب وقعة "مانو" (بين الخوارج والجيش العباسي) التي قتل فيها خلق كثير. والمدينة الآن عبارة عن ينابيع المياه التي تسقي حقولا محدودة المساحة من أشجار النخيل. وبعد تخریب قنطرة، انتقل من نجا من علمائها من معركة "مانو" إلى تمصمص التي تقع في جنوب "طمزين". راجع، الاباضية في موكب التاريخ (2/179 - 180). انظر كذلك الفقرة التي خصصها صالح باحية في كتابه، الاباضية بالجريد (ص 12). وقد اثبت الكاتب هذه المدينة في الرسم التوضيحي الذي وضعه للأماكن الاباضية (ص 196).

الخير، وداود بن يوسف، وسعيد بن ابراهيم، رضي الله عنهم أجمعين، وجماعة كثيرة، وقصد النفوسي نحوهم، وأعلم الشيخ محمد بن بكر، رضي الله عنه، قصته وشكا إليه أمر دينه على نيكول. فقال له الشيخ أبو عبد الله، اجلس، لا تصيب الاسهمك. ثم قام سعيد بن ابراهيم، فقال، يا شيخ، عليّ دينه. فقال له الشيخ أبو عبد الله، اجلس، لا تصيب الانصبيك^(أ).

ثم قام محمد بن الخير، فقال له، عليّ دينه بسعة مالي. فقال له أبو عبد الله^(ب)، اجلس، لا تصيب الا ما ينوبك.

فلما سمع النفوسي ما تبصر به المشائخ "ومنافستهم في الخير"^(ج) ومسارعتهم الى الخير في قضاء الدين عن نيكول، قام فقال : تركت لنيكول ديني الذي عليه. فقال له أبو عبد الله، اجلس، ثم ان المشائخ المذكورين اجتمعوا فجمعوا للنفوسي دينه ودفعوه له.

حدث ماكسن بن الخير^(د) رضي الله عنه أن أبا عبد الله، محمد بن بكر، رضي الله عنه، طلع الى أبي الربيع على ناحية تين يسلي^(هـ)، قال وكنت اذذاك في ورجلان، وفيه جماعة كبيرة من العزابة، قال فطلعنا في جماعة في زيارة أبي عبد الله في سنة ذات مجاعة. قال فلما وصلنا اليه أضافنا ضيافة حسنة، فقالوا له، ادع لفلان من أهل ورجلان، فانه أضاف العزابة ضيافة عظيمة، وكان كسر عليهم أموالا كثيرة في ضيافته.

فقال أبو عبد الله، هذه عادتكم أنتم أهل هذا الزمان وانما تحبون من

يضيفكم ويضيفكم، فهلاً قلم ان فلانا قام بدين الله وأحيا سير الأوائل، من السلف الصالح، ادع له، وما كان شبيها بهذا؟ قال ماكسن، ثم دعا له بعد ذلك.

قال أبو الربيع، طلعنا مع أبي عبد الله الى ورجلان زائرين في جماعة كبيرة، فسمع قبائل أهل الدعوة بأقبالهم، حتى [كنا] ببعض الطريق، جعل أبو عبد الله على كل قبيلة منهم عريفا^(أ). (النص غير واضح). على طلب [الى] رجل من أهل طرابلس، فأبى، وقال، لا أملك الا نفسي. فقال له أبو عبد الله : أتمم الآية، يا جلداس. ثم قال، لا تسعنا مرافقة هذا. فأخرجوه الى الخطة، ثم تاب فردّوه.

قال فسرنا على هذه الرعاية والحذر والوجل من أهل ورجلان والجد والاجتهاد والابتعاد، حتى وصلوا ورجلان^(ب) ومع ذلك ذكر بعضهم أنهم أحدثوا أحداثا مما كانوا ينهون عنه.

وذكر عن الشيخ أبي عبد الله أنه كان مع تلاميذه في الغار المعروف بتين يسلي^(ج) وكان صنفهم ثلاثة أصناف عند منامهم، وجعل رتبهم في حال مضاجعتهم. وكان الأكابر منهم يردون رؤوسهم الى القبلة تجاه المحراب وتلقاه. ورد أوسطهم رؤوسهم الى أساطر الغار وأعمدته. ورد صغار^(د) التلامذة رؤوسهم الى ناحية القبلة، ازاء رؤوس المتوسطين من التلامذة، ومن السطر الأخير، ويتركون للشيخ مكانا مقابلا للمحراب.

فاذا كان آخر الليل عند قيام التلامذة، وجدوه قاعدا مكانه، ولا يدرون من أين جاز اليه ولا من أين وصل، وهو أيضا من أعاجيب ما أتى به.

قال أبو الربيع، دعاني أبو عبد الله ذات مرة، فقال لي اني قمت البارحة، فلم أجد ما أتوكأ عليه، غير هذه الجريدة، ولا أدري لمن هي، فأخذتها على وجه الدلالة [وعرضتها] على العزابة كلهم فاسأل عن صاحبها وأدفعها له.

(أ) اعتمدنا (ب). وفي (أ) : في جماعة كثيرة وفينا قبائل أهل الدعوة وأمثالهم حتى بعض الجريبيين، وجعل أبو عبد الله على كل قبيلة الخ.
(ب) كذا في (ب). وفي (أ) : فسرنا على هذه الرعاية والحذر والجد والاجتهاد والافتقاد حتى وصلنا الخ. .
(ج) كذا في (ب). وفي (أ) : يسعى.
(د) كذا في (ب). وفي (أ) : ما غير.

(أ) كذا في (ب). وفي (أ) : الامانيوبك.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : قال له الشيخ.

(ج) هذه الجملة غير واردة في (أ).

(1) أبو محمد ماكسن بن الخير. ترجم له الدرجيني وصنفه ضمن علماء الطبقة العاشرة (سنة 450 - 500) وأشركه في ترجمته مع أبي عبد الله بن مزين بن عبد الله، وكلاهما وسياني. وقد ذكر أنه أصيب في بصره وهو ابن سبعة أعوام، أو سبعة أيام، فجاءت أمه الى أم يوسف، زوج المعز بن باديس، فأعلمتها بما أصاب ابنها، فقالت لها "رديه الى المكتب فانه يستفيد، لما رأته من حدة فكره وحضور ذهنه وذكائه" (راجع الطبقات 429/2 - 437) سير الشماخي (ص 414 - 416).

(د) كذا في (ب). وفي (أ) : تين يسعي.

وذكر الشيخ يحيى بن أبي جعفر، رضي الله عنه، أنه رقد ذات ليلة في الغار مع التلامذة، فسمع صوت^(أ) بك يبيكي ويشهق. قال، فعرفت صوته، فإذا هو من أصغر التلامذة. فلما أصبح سألته عن بكائه، فما طلني، فاستقصيت عنه في السؤال، فقال لي، ومالي لا أبكي، وقد اجتمع للعزابة في أندية^(ب) وتناصحوا وتواددوا، ولم يذكرني أحد منهم، وقد كان فلان قبل هذا لا يدع نصحي^(ج) ولا تذكري ورعائي. فلما مضى، عدت من ينصحنني، فبكيت من أجل ذلك، وقد اهتم هذا لنفسي وحبيب قلبي، وهو يوسف ولد عيسى المديوني، رحمهما الله.

وذكر رجل لأبي الربيع، عن أبي عبد الله أنه قال: من عاش قليلا لم يؤخره الله لما يصلح له لذيائه ولا لآخرته. فقال أبو الربيع عندما سمع هذا من الرجل من كلامه، يعني أبا عبد الله، أنظر إلى ما قال في زمانه، وكيف نحن في زماننا هذا! ثم قال أبو عبد الله، من عاش قليلا، فانه يرى العجائب.

وذكر أبو عبد الله محمد بن بكر، رحمه الله [أنه] قدم إلى وغلانه، فوجد في جماعتهم شيئا من التنازع وتعاطي المناكب^(د) وفيهم رجل من لمائه^(هـ) يسمى أباد الله^(و) من ذرية السكاكي يفتيهم في الأمور وينزع إلى الاختلاف ويميل إلى التشاغب.

فقال له أبو عبد الله، اعلم يا أباد الله^(١) أن من يتكلم (و) قد احتيج إليه من الكلام قد ابتلي مرة، ومن تكلم ولم يحتج إليه، فقد ابتلي مرتين.

وذكر أبو يعقوب يوسف بن الشيخ أبي عبد الله، محمد بن بكر، رضي الله عنه، أن أبا عبد الله نزل ذات مرة إلى ورغانة، وفيها جماعة العزابة في المسجد عازمين، فقصده أبو عبد الله تحت النخيل على عين تاعمارت، فأثاه أبو عمران، موسى بن جنون، رحمة الله عليه، فأثاه أبو عمران موسى بشيء من البسر والفقوس في إبان أوان التمر، فانتهره وأبى أن يأخذ شيئا منها، وقال: أتجري عليّ بمثل هذا! اذهب بذلك للعزابة.

فقال موسى، وما يبلغ هذا في كثرة العزابة؟ فقال أبو عبد الله، جزّ الفقوس أجزاء واجعلها مع البسر في حجر ك وتعطيهم إلى حيث بلغت فيهم، ففعل ما أمره به.

وهذا من حسن سيرته وكثرة سياسته وخوفه على حقوق أصحابه^(١).

وروى أن أبا عبد الله كان يضرب الأمثال لأهل زمانه ويقول: إنما مثل أهل هذا الزمان، مثل السبخة التي بفنائنا^(ب)، ان ابتلت زلقت، وان ييست خدشت، وان أهل هذا الزمان، مثل التيوس، اذا اجتمعوا تناطحوا، واذا افترقوا تصايحوا، وان مثل ماء الفراج^(ج) لا ينضج الطعام ولا يروى ويقع من الحجرة والصرة والقلة والعطش^(د) وان أهل هذا الزمان مثل الحطب الصغير، يربط فيصير حزمة ولا يمكن ان يجعل في الغرائر فيرفع.

وقال أيضا: من دعى أهل الزمان، مثل كرانف الشبكة، اذا رفعت الشبكة، اختلفت رؤوسها خارج الشبكة.

وقال عن الشيخ ميدول مصكداسن^(١) الزنفي^(٢) مثل المعنى: انما مثلكم يا أهل هذا الزمان، كمثل الدماميص الصغار التي تكون في حياض الماء، ماء المطر يتردد من ناحية إلى ناحية حتى يمسح الريح الهيف فينشف الماء وينشرها وتهلك الدماميص.

هذا ما قاله في زمانه، وهو من أتراب أبي عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه. وقد زرت هذا الشيخ أبا ميدول، أنا وزكرياء بن أبي بكر، فقال لنا، اكتب إلى أبي عبد الله كتابا فيه مدّ اليد^(٣) بما أمكنك، مدّ اليد بما أمكنك، وكررها ثلاثا فأمرت واحدا من العزابة أن ينسخها لي في كتاب، وكتبها مرة

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): وخوفه من عقوق أصحابه.

(ب) كذا في (ب). وفي (أ): التي يعننا لنا، وهو تحريف.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب): ماء الزاح.

(د) كذا في (أ). وفي (ب): ويقمع من الحجرة والصارة والغلة والعطش.

(هـ) كذا في (أ). وفي (ب): مطكداس.

(١) هكذا ترجم له الشماخي في السير (ص 408). ولكن الاسم ورد في النسخة المطبوعة من الطبقات

(2/420) كما يلي: أبو مكحول مطكود اسن الزنفي.

(و) كذا في (ب). وفي (أ) موالد، ثم كررت برسم: مواليه.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): تشج.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب): في ندائهم.

(ج) كذا في (ب). وفي (أ): لا يضع نصحي.

(د) كذا في النسختين. ولعله: المناكر.

(هـ) كذا في (أ). وفي (ب): من لواته.

(و) كذا في (أ). وفي (ب): أباد الله.

(١) يسميه الدرجيني الذي ينقل هذه القصة: أباد الله السكاك.

واحدة، فقال لنا : انظروا الى أهل الزمان وأفعالهم !

وذكر الشيخ يحيى بن أبي جعفر أن أبا القاسم يونس⁽¹⁾ بن أبي زكرياء، كتب الى ميمون كتابا فيه :

”بسم الله الرحمن الرحيم“، الى أبي ميدول، أطال الله بقاءه، وأدام نعماءه، فاني سمعت أن جماعة من النكار طلوعوا الى ما قبلكم : اياك ثم اياك أن يشقوكم، ولو بالضيافة، فإن القوم أخدع من كان في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنت ممن لا يوصى والسلام.

[قال] أبو الربيع، نزل الجراد على ضيعة الشيخ، بتين يسلى، فدعاني، فقال : اذهب الى الضيعة، واقرأ هذه الآية : ”سواء منكم من أسر القول ومن جهر به“ الآية كلها، ثم ناد وقل ”يا من هنا من أخواننا، يستعين بكم الشيخ الضعيف الأعمى، أن تعينوه على دفع الجراد من ضيعة“.

قال ففعلت ما أمرني به، فانكشف الجراد وانقشع من ساعته بحمد الله.

وروى عنه أيضا أنه هرب له بغل، وهو اذ ذاك في الربيع يوما فقصد نحو أريغ، فأرسل رجلا في طلبه، فأمرهم أن ينادوا ويقولوا : ”يا اخواننا الذين كانوا ههنا ! ان الشيخ الأعمى يستعين بالله وبكم على رد بغله !“. ففعلوا ما أمرهم به، فاذا البغل راجع على اثره بركض كأنه ينخس أو يضرب.

وعنه أنه قال : قطيعة الرحم مثل قطع عضو من البدن، لا يخاط ولا يناط ولا يعقد الى ما قطع منه.

وحدث يعقوب بن أبي القاسم أن أبا عبد الله كان في أريغ، وهو في زمان حينئذ قطاع الطريق يذرعون يمينا وشمالا، فبلغ فيه ذلك مبلغا عظيما وضاق به ذرعه وضاق به فزعه. فاذا اجتمعت اليه جموع بني مغراوة، وعظهم وأمرهم ونهاهم عن أحداثهم البشعة و[عن] قطعهم الطريق.

(1) ترجم له الدرجيني مع أبي يحيى زكرياء وصفهما ضمن علماء الطبقة التاسعة (سنة 450 - 500). وهو أبو القاسم يونس بن أبي زكرياء فيصل بن أبي مسور البراسني. راجع الطبقات (393/2).

ولعل قائلا منهم يقول : يا شيخ، لا نقدر ولا نستطيع لمن يفعل ذلك، فيقول : فاذا لم تستطيعوا ولم تقدرُوا، فنحن نستطيع ونقدر لأنفسنا، فارتحل بعِياله، وتوجه نحو أفران فمكث فيها سنة، فلحقته جموع مغراوة كلها هنالك، فراوده على الرجوع الى بلده، فقالوا : لم تركت ضيعتك، مع استقبال منفعتها ؟ يعنون تين يسلى. فقال لهم : هي عندي وهذه الزيتا سواء. وكانت الزيتا خلفه، كانه يراها، وذلك من كثرة فراسته وفطنته وثباته. وقال لهم : هذه فتتي تدور بين بني يكسن^(أ) للتمر، ما ذكرتم من غلة تين يسلى، أفأقصد اليكم في أريغ، فأكون كالفريسة تتناهبها الذئاب وتأتيتها من كل مكان، وهؤلاء^(ب) العزابة يقصدون الي من الآفاق فيقبلون^(ج) بحدود أريغ، الحسن بن مليون^(د) عن مشرقه، وجابر عن مغربه، وسليمان بن عائشة عن شماله، عمالا^(هـ) لأريغ من قبلي.

فلما أيسوا من رجوعه تلك المرة، رجعوا الى أريغ وامتثلوا ما قدرُوا عليه من اخراج الحقوق، ثم رجع بعد ذلك. وقد جاز عليه أبو محمد بن سليمان وقت كان في أفران، وهو قادم من القلعة، فقال له لم تبلغ الى ورجلان فترى الناس ويرونك ؟ فقال أبو عبد الله مالي ولرؤية قوم عمدوا الى مكياك عظيم فجعلوا فيه القدر والمقالي والشقق والملاحف، فاخلطوا ذلك كله مما لا يستقيم أخلاطه وجمعه، فأرسلها مثلا. قال الأول : لا تخلطن خبيثه بطيب، واخلع ثيابك منها ولج عريانا.

وبلغنا أنه رآه حينئذ محمد بن سليمان النفوسي ومحمد بن عمر البرنوتي، وكانا ينسخان الكتب في غيران بني أجاج، فسألهما عن حالهما وما هما فيه، فأخبراه أنهما يدرسان الكتب في الغيران المذكورة. فقال، نعم ما فعلتم، لأنه قيل من يدرس الكتب أفضل ممن يتعلم عند خمسة علماء، مثل عبد الله بن الخير، رضي الله عنه.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : يكسن.

(ب) كذا في (ب). وفي (أ) : وها أنت ترى العزابة.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب) : فيقتلون.

(د) كذا في (ب). وفي (أ) : ابن كيان.

(هـ) كذا في (أ). وفي (ب) : اعلاما.

وذكر أنه قال لهما، من يقرأ كتب اللفظ، مثل من يهمل الى الغرائر، يعني، لكثرة مسائلها. وما كتب العالمية^(أ)، فان فيها قررا. [بين] أقاويل العلماء وكتب جوابات الأئمة. هذا منه تحريض على دراسة العلم والكتب وتعاهدها. رحمة الله عليه.

[قال] أبو الربيع، قال أبو عبد الله، طلعتنا من قسطالية متوجهين الى افريقية حتى وصلنا الى موضع يسمى سلامليك^(ب) وهو موضع معروف الى اليوم. قال ما وقعنا في وجهتنا تلك على حي ولا منزل الا وجدنا من يستفيد خيرا وعلمنا.

ومثل هذا ما ذكر عن سليمان بن عبد الله بن شكر^(ج) الفنتاسي المزاتي، قال: أدركت في فنتاسة، وكانت قبيلة قليلة العدد، من مزاته، اثني عشر مسجدا وكلها عامرة بالأذان والجوامع والمجالس. قال، عند ذلك، فليس فيها اليوم واحدة عامرة، وذلك بانقراض الخير وأهله، وذلك منذ سنة ست أو سبع وأربعمائة من التاريخ^(د).

قال أبو الربيع، كنت في قسطالية فكتبت الى الشيخ كتابا (قلت) فيه، بلغني أنك تؤمل الطلوع الى جبل نفوسة⁽¹⁾ فتفكرت في ذلك طويلا، وجال فيه فكري ووددت أني كنت معك في مكان واحد.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): الغائمية (؟).

(ب) كذا في (أ). وفي (ب): ما ملك.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب): تسلك الفنتاسي.

(د) كذا في (ب). وفي (أ): منذ سنة سبع وستين وأربعمائة.

(1) اشتهر جبل نفوسة الذي يمتد من الشمال الى الجنوب على ثلاثة أيام، بأنه معقل الاباضية منذ عهد علي بن أبي طالب (ض)، وقت انصراف الخوارج عنه بمن سلم منهم من أهل نهران. وكذلك اشتهر الجبل بمياهه الجارية وغياضه الوارفة الظلال وبأشجار الفاكهة من الكروم والتين وغير ذلك، وبمزارعه التي تصلح فيها زراعة الشعير، بصفة خاصة، بحيث يقول ابن حوقل (ومن بعده ياقوت) انه "إذا خبز (الشعير) كان أطيب طعاما من خبز الحنطة". وقد تركزت روح المقاومة للسلطان في هذه المناطق البعيدة عن الطرق المطروقة في عدد من القرى التي كان أشهرها قريتان: شروس (أو سروس) وجادو، وذلك بالإضافة الى مدن مثل نفزاوة وقسطيلية، المدينتين اللتين تعتبر كل منهما مركز اشعاع خاص لعلوم الدين على المذهب الاباضي. والجدير بالذكر أن فتح جبل نفوسة قد تم في عهد عمرو بن العاص الذي اضطر الى وقف فتوجه عند هذا الحد، بناء على أوامر عمر بن الخطاب (ض). راجع عن جبل نفوسة ابن حوقل (ص 92 - 93) الادريسي (الفهرست) البكري (الفهرست) معجم البلدان (296/5 - 297) تسمية شيوخ نفوسة وقراهم، تحقيق وترجمة Lewicki، رحلة التجاني (الفهرست) وكذلك الاستبصار (ص 58 و Fagnan (E), Extraits inédits (p. 42, 55) Basset (R), les sanctuaires Djebel Naffousa ; Xavier (92 de Planhol, les fondements géographiques de l'Histoire de l'Islam (p. 143 et 145).

وذكر أنه كتب اليه أيضا وكان ينظر في النحو، فقال له، بلغني أنك تنظر في النحو والجماعة التي كنت فيها في غير ذلك. فقال اعلم أن العمل في غير حينه ضعيف، والحين في غير عمله ضائع.

وذكر ماكسن، رضي الله عنه أنه قال توجهت من طرابلس قاصدا الى أبي عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه، فالتقيت معه في السوق يريد الوصول الى طرابلس، فقال لنا، لا تكثرثوا ولا تضيقوا صدوركم، فاني، ان شاء الله راجع على اثري. وذكر حينئذ كلمات من الحكمة، من حكمة علي نفسه كما يحكم على غيره، فقد عدل، ومن أعطى من نفسه مثل الذي يريده لها، فقد أنصف، لأخيك عليك، مثل الذي لك عليه.

وسئل يومئذ عن مسألة، عن ما صدق الرجل في نفسه، هل يكون له حجة، كما يكون عليه حجة؟

"فحكى عن أبي زكرياء بن جرناز النفوسي، كلما صدقه الرجل على نفسه يكون له حجة"⁽¹⁾.

قال قلت لأصحابي، أسير من طرابلس الى موضعي هذا لأستفيد هذه المسألة، والحمد لله رب العالمين.

[قال] أبو الربيع، ان أبا يعقوب يوسف بن الوالي⁽¹⁾ قدم الى الشيخ أبي عبد الله في تين يسلى، وعنده الشيخ فلفول⁽²⁾ قاعد، وذلك في سنة تسمى "فراوراوا"⁽³⁾ وكانت سنة مجاعة في طرابلس⁽⁴⁾.

(أ) هذه الجملة غير واردة في (أ).

(1) راجع أخباره في طبقات الدرجيني (في عدة مواضع) ولا سيما في ترجمته له ولأخيه (أبو العباس أحمد) في الجزء الثاني (ص 442 ومايلها) وكذلك سير الشماخي (ص 423).

(2) فلفول بن يحيى، ترجم له الدرجيني وصنفه ضمن علماء الطبقة العاشرة (سنة 450 - 500). راجع الطبقات (451/2 - 453). وكذلك ترجم له الشماخي في السير (ص 429) ووصفه بأنه "كان عالما سخيا ذكيا".

(3) في سير الشماخي: "وتسمى فرورا" ولعله ان يكون الحرفان الاخيران زائدين.

(4) وقعت هذه المجاعة في منطقة طرابلس في سنة 430 هـ، بسبب قحط شديد، مما أصطر معه السكان الى الهجرة وكل في اتجاهه.

قال، فلما قدم عليهم صافحوه وعانقوه، فرأى فلفول في ثياب رثة، فأبدل له لبسه، فشكى الشيخ عبد الله ما هم فيه من الشدة وكيف ترك عياله، ورفع اليه عشرين ديناراً، فشاوره في القدوم الى وارجلان الى الشيخ داود الصنهاجي من أجل الانتفاع به.

فقال له أبو عبد الله، مما ينفعك ان قدمت اليها فأصبت منها صاع ذهب، اذا لم ترجع الى أهلك الا وقد ماتوا وفاتوا وتلفوا. قال، فعمل على الرجوع من هناك.

وشكى الى أبي عبد الله ضعف قوته وقلة مقدرته، فدعا الله له أن يؤيده ويعينه بقوة غيره، وسيّره مع رجل الى بني ينجاسن^(أ) وأوصاه عليه، فوجد القافلة على الخروج الى اسوف فخرج فاصطحب معهم، فوصل الى أسوف، فاذا بقافلة قد عملت وعزمت على السفر الى نفزاوة، فاصطحب معها الى نفزاوة، فوصل سالما وانقطعت [الصلة] بينه وبين أهله بالخصوص، فلم يجد من يصطحب معه الى أهله الا جماعة السراق، فسار معهم، ورفعوا له زاده، وقالوا له، متى عييت فاقعد واسترح، فمنحه الله منفعتهم ورد عنه بأسهم، والحمد لله رب العالمين. وبدعوة الشيخ أبي عبد الله، لم ير منهم الا الملاطفة وحتى وصل الى أهله.

وذكر أبو الربيع أنه التقى مع هذا الشيخ ذات مرة، وقد جاء من افريقية وعليه ثياب وسخة، وكان قبل ذلك يعلم في جماعة التلامذة بالخير والصلاح والزّي الحسن في نقاوة البدن ونظافة الثياب وحسن الحال، فتعجب بهيئته التي رآه عليها، فقال له، يا أخي، ما هذه الحالة التي أراك فيها؟

فقال له، يا أخي، كنا في زمان من قصد فيه الدنيا، فقد آخرته، والأولون اذا قصدوا الدنيا لم يفقدوا الآخرة.

قال أبو الربيع، دعاني الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر، فقال لي، قل لفلان أن يرفع لوجه ويخرج من جماعتنا، وكان من تلامذته الذين كانوا عنده

(أ) كذا في (ب). وفي (أ) : تن ينجاسن.

متعلمين. فقلت له، على ماذا؟ فقال لي ان عيدي شكاه اليّ، رآه وقف الى خادم له قد جاءت من الحطي يكلمها ويخاطبها.

قال أبو الربيع، فكلمت الرجل وأعلمته بما قال الشيخ، فذهب منصرفا الى بلاده. وقد رأيته في طرابلس بعد ذلك، فما سمعت عنه بأسا، ولا بلغني عنه.

وذكر أن أكثر مجالس أبي عبد الله في التحذير والتخويف، فقليل له ذات مرة، هذا أمر شديد ضيق والنجاة منه عسيرة، مع ما ذكرت، فيضرب له مثلا، ما تقول في ظعينة اقتحمت بيداء بهماء، ذات حر شديد وسفر بعيد، فضل دليلهم وخربتهم فأخذتهم الى الرمضاء، كيف نجاة هؤلاء من العطب والهلاك. وقيل له أيضا، ما بال هؤلاء ذولب وفهم كثير تصيبهم الآفات، اما هالك واما راجع الى الدنيا، ومن يرجي فيه الورع وخشية الله عسر تعلمهم وكثر تبلدهم، قال : فقال له، تلك علامة موت الاسلام.

وقيل له أيضا، ماذا يفعل الناس، اذ ذهب من يثقون به في دينهم وآخروا الى زمان قلت أماناؤه ولا يكاد التعلم يصاب الا عند رجل قليل الورع، وخشية الله فيهم أقل ما توجد، فضرب له مثلا، فقال : ما تقولون في رجل عطشان قد أشرف على الهلاك بالعطش والنطش، فوجد ماء ملحا أجاجا، مرّا زعاقا، يشربه أو يتركه كأنه لم يجعل له مخرجا؟ حسبي الله ونعم الوكيل.

وقيل عن بعض من مضى، لا تأخذ العلم عمّن لا يخشى الله، ولو مسألة واحدة، وكيف يشفق عليك من لم يشفق على نفسه.

وذكر عليّ بن منصور اليسراني^(أ) أن رجلا يقال له بياضه، قدم من افريقية الى تين يسلى عند الشيخ أبي عبد الله في مشورة، فمكث عنده الشتاء، ولم يذكر له شيئا من شأنه.

فلما كان عند رجوعه الى أهله شيعه أبو عبد الله، فشكى اليه أمر زوجته، وقال له أبو عبد الله، الاصحاب اثنان، أحدهما يعد الرجل بماله ولا يفارقه، والآخر يعطي الرجل ماله ليفارقه.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : البراسني.

وذكر بعضهم أنه لم يشاوره فأخبره عما أخبر قبل أن يخبره، فرجع الى أهله، فأعطى ماله كله لزوجته، ففارقها، فلم يحل الحول الا خلف الله له عما دفعه لها.

وقيل ان ما دفع لها [هو] صداقها. وشبهه بهذا ما ذكره أبو الربيع. ان عادة نفوسة الجبل، اذا خرجوا في السفر، جعلوا على نفوسهم رجلا يقوم بأمورهم وحوائجهم ويشاورونه في مصالح سفرهم الى أن [كان] ذات مرة، خرجوا لعادتهم وجعلوا على أنفسهم رجلا يقوم بأمورهم ويشاورونه في حوائجهم. فلما وصلوا الى البلد الذي توجهوا نحوه قضوا حوائجهم ومهمتهم من تلك البلاد، وأرادوا الرجوع الى بلدهم، طلع عليهم النقيب الذي قدموه في أمورهم، فقال لهم، يا جماعة نفوسة : ادركوا أموركم وحوائجكم، فانه كانت عندي امرأة سيئة الخلق، سليطة اللسان، لسنة. فحين توجهت عنها، استراح قلبي وارتاح وزال غمي عني وراح الغم عن نفسي فتفرغت الى أموركم. والآن قد استقبلتها بالرجوع، فتحير قلبي واغتم وخرج واهتم، فالحقوا أموركم وادركوا حوائجكم.

فلما سمعت نفوسة قوله وما اعتذر به، قال بعضهم لبعض، رجل كان على هذه الصفة، وقد اخترناه في أمورنا، فوجدناه ذا عقل ولب ولا يزداد الا المودة والمحبة، وبلونا منه حسنا مع حسن نقيته ويمينها، أفقسته علينا امرأة ؟ لا يكون ذلك أبدا ! فجمعوا له ما كان عليه لها وفارقها بعد وصوله البلد، فدخل أمورهم حتى وصلوا، فحسن ما فعلوا وأدركوا ما أملوا، والحمد لله رب العالمين.

وكان الشيخ أبو عبد الله يحرص ويحذر الناس من تضييع الكتب، فترك ذلك الرجل طلب الكتب اليه. فقال أبو عبد الله صرت يا فلان، مثل الرايب : اما وقع باثره على وجه الشارب، واما تباطى عنه وحبس وعسر.

وذكر عن رجل من بني وليل، يقال له بياضه بن سوداد^(أ) ويكنى أبا ثملة أنه قال، لو نصت أهل الدعوة واستمعوا (الي) جميع ما يقوله هذا الشيخ، فان كلامه كله حكمة، اما للدين واما للدنيا، لأنه حكيم زمانه.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : ابن سوداد.

وذكر أبو الربيع أن رجلا من لمطة يقال له فرواط^(أ) قدم الى هذه الناحية من بلاده فألهمه الله للخير والرشاد وذلك في زمان أبي عبد الله، وكان ذا اجتهاد ونية حسنة، وكان في جوار أبي عبد الله، فنزل ذات مرة في غنم له مع غنم أبي عبد الله في أودية اندرار، حتى غارت عليهم غارة من بني غمرة، فساقوا الغنم كلها، فتبعهم ليردها فأبوا أن يردوا اليه شيئا.

وبينما هو كذلك يتبعهم اذ نزع فارس منهم رجله من الركاب فركضه بها، فأبيسها الله حتى لا يقدر على ردها في الركاب.

فلما رأى أصحابه ما حل به، قالوا حلل له يامير، فحلل له بغير نية فلم ترجع رجله، وقالوا حلل له بنية، فحلل له بنية، فصارت رجله سوية كما كانت قبل ذلك، فردها في الركاب، فتطيروا به، فكانوا بعد ذلك يغيرون على أموال الناس ويأكلونها ولا يعرضون لماشية فرواط.

وأغاروا عليه ذات مرة وعنده غنم عبد الله بن محمد بن بكر، رضي الله عنه، فأخذوها، فقال لهم، سيروا وخذوا غنمي واتركوا تلك، فان صاحبها خير مني، فأبوا عليه. وقال، ولما سمع أبو عبد الله خبر موت فرواط، قال : "انا لله وانا اليه راجعون"، ثلثة لا تنجبر الى يوم القيامة.

ذكر أبو الربيع سليمان بن يخلف، رضي الله عنه، أن أبا عبد الله محمد بن بكر، قال إن رجلا من لمطة تاب وأبصر الاسلام ورجع الى أهل الدعوة في زمان الشيخ أبي ابي زكرياء^(ب) فضيل ابن أبي حمدة^(ج) رضي الله عنهما، يسأل عن نوازل وما فعله في حال جهله، هل يصيبه مثل ما يصيب المشرك اذا وحّد وتاب، وهو قبل ذلك يصور الله في قلبه ويوحده ويقرب بالحمل، فأفتى^(د) الشيخ أبو زكرياء أن يرخص له في ذلك.

وذكر أنه أفتى له بعض العزابة أن يصيب مثل ما يصيب المشرك.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : ميرواط.

(ب) كذا في (ب) وهو الاصح. وفي (أ) : أبي بكر.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب) : ابن أبي مسور.

(د) كذا في (أ). وفي (ب) : أبي.

قال أبو الربيع، قال قاسم بن مكنود، طلعت أنا ونيكول^(أ) بن عيسى مع أبي سعيد نوح بن يخلف المديوني رضي الله عنه، ومعنا جماعة من العزابة، فأضافنا مطكود الزنداجي بالزباب، فترلنا عنده، وكان صاحباً لنيكول بن عيسى، فجاء بالغداء، وعليه لحم شاة، وكان الشيخ أبو نوح يميز لحم الشاة الميتة بالمرض من غيرها. فلما استنشق أبو نوح ريحها وشمه، رفع رأسه إلى مطكود الزنداجي، وكان قائماً على رؤوسنا بالادالم، فقال له، هلا جعلت على الاسلام؟ فإن كان فيهم حقد، فقد استحقوا أكثر من ذلك، وإن لم يكن فيهم، فقد أصبت ما طلبت.

وأراد الشيخ أن يذبح لهم شاة سليمة غير عارضة. فلما سمع (أبو محمد عبد الله بن) مطكود مقالة الشيخ، طأطأ برسأه ونكسه حياء مما سمع، فمد إليه نيكول يده، وكان صاحباً له، فقال له، ارفع رأسك، كيما يروك، امتحانا له. وكان أبو الربيع يروي عن أبي محمد ويسلان، عن أبيه، أبي صالح، أنه جاءه العزابة وأوقفوا عنده شاة عارضة شبيهة^(ب) بالميتة، وقال فقال لنا اذبحوا خروفا لفضيلة اراقة الدماء للمسلمين، ففعلنا ذلك. قال وهذا تصديق للشيخ ابن نوح، رحمه الله.

ذكر أبو يعقوب يوسف بن محمد^(ج) رضي الله عنه أنه شاور أبا عبد الله محمد بن بكر رضي الله عنه في النهوض إلى ورجلان وزيارته، فقال له يوسف: إن ذكر ورجلان مضرة، وكيف بدخوله!

وذكر محمد بن خيران اليراسني حكاية من كتاب سطيج اسمه أعير منه، يتقاتلون على غير شيء.

وذكر أبو الربيع عن رجل يسمى عيسى بن زاور^(د) من نفوسة أمسنان، قدم إلى ورجلان في زمن ظهر فيه الجوامع والآذان والخير والصلاح، فقال في نفسه متعجباً: كيف نجت هذه من الشيطان ووسواسه!

قال ومكث فيه وخالطهم وعرف سرائرهم، فقال في نفسه: هذا موطن الشيطان الذي استوطن فيه وأطلق العمال في البلد.

وذكر عن ابني منيب، وكانا شيخين فقيهين من نفوسة صالحين، أبو يعقوب وأبو يوسف، أنهما سافرا إلى تاهرت في زمانهما وظهرهما من جبل نفوسة، حتى كانا بحذاء ورجلان، نزلاً قدامه ولا يدخلانه، حذراً منه، وشفقة على أنفسهما من الاختلاف والشقاق وبيعان من يقضي لهما حوائجهما، وكان ذلك دأبهما سائرين وراجعين.

وذكر أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، رضي الله عنهما أنه قدم وارجلان زائراً ثم قفل منصرفاً عنه، فجاز علينا في قنطرة، فسألناه عن أحوال أهل ورجلان، وكان فطيناً عاقلاً بصيراً، فقال، عميت ولم أبصر شيئاً.

وحكي عنه أنه قال له أهل وارجلان، امكث قليلاً نستأنس بك، فقال لهم أنتم مثل من قال، امكث قليلاً يمت قلبك، لما اطلع عليه من سيرهم.

وذكر أن سعيد بن ابراهيم كان له على رجل دينار فطلبه منه ثم جحده، فلقبه بعد ذلك وقد أخذه أعوان الملك وشرطته يجرونه، فقال سعيد: ما تطلبون إليه؟ فقالوا له: دينار. فدفعه لهم فخلوا سبيله^(أ).

قال، ثم بعد ذلك، جاءه الرجل بدينارين، فقال له: حين طالبتني لم يكن عندي، ولذلك جحدتك.

وذكر عنه أنه قال: إذا ساء إلي إنسان، فلا أجد في نفسي راحة حتى أجازيه بالاساءة.

وأما الشيخ سليمان بن موسى، فقال، إن نفسي تسمح بالاحسان إلى من أساء إلي أكثر مما تسمح بالاساءة إلى من أساء إلي.

وقيل عن يعقوب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال لبنيه، يا بني، احفظوا عني خصالاً، فاني ما رأيت

(أ) كذا في (ب). وفي (أ): يكتول

(ب) في (أ) ميتة بالمرض. وفي (ب): سيئة. قرأت حسبما أورده الدرجيني.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب): محرز.

(د) كذا في (أ). وفي (ب): زاوراس.

(1) أورد الشماخي هذه القصة في سيره (ص 464) أنظر طبقات الدرجيني (332/2).

من أحد سيئة الا سترتها عنه، ولا انتصرت قط ممن ظلمني بيد ولم ترعيني عيبه، فاذكرها بلساني^(أ)، ولا أسر إلي رجل سرا، فأفشيته، وذكر أن سعيد بن ابراهيم التقى مع أعوان السلطان وقد علقوا بامرأة وعقلوها^(ب) وحالفوا^(ج)؟^(د)، فسألهم عما يطالبونها به، فقالوا، كذا وكذا. فقال خذوه وخلوا عنها، فأبوا عليه. فصاحت المرأة: "يا للمسلمين! فأخذ سعيد سلاحه فحال بينهم وبينها، وجعل المرأة قدماه، لكلا يصلوا اليها، فقال أصحابه: ماذا فعلت بنا، يا سعيد، كدت تهلكنا!

فقال لا عليكم، فمكث قليلا، فجاءت رجال الملك يقولون: أين الرجل الذي نزع المرأة من يد الأعوان والشرطة؟⁽¹⁾ فقال لهم: ها أنذا.

فقال: أجب السلطان، فصار معهم حتى وصلوا الى السلطان، فقال له: أنت الذي نزعت المرأة من العبيد؟ قال، نعم.

قال، ما الذي حملك على ذلك؟ فأخبره بما جرى بينه وبين الأعوان من الخطاب، فصوب فيه بصره مليا، ثم قال للعبيد: امضوا لسبيلكم، فان السماوات والأرض انما قامت بهذا وأمثاله! فرد الله عنهم كيدهم وسلمه بأسهم وشهرهم. والحمد لله رب العالمين.

ذكر مسائل اختلف فيها أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر

يغلان بن داود⁽²⁾

قال أبو الربيع، ان أبا القاسم يزيد بن مخلد وأبا خزر يغلان بن زلتاف، وقد قيل ان اسمه داود، تنازعا في مسائل، منها [أن] رجلا قال: لا اله الا الله،

(أ) كذا في (ب). ورد النص بتحريف في (أ).

(ب) كذا في (أ). ورد النص بتحريف في (ب).

(ج) كذا في (أ). وفي (ب): وجلبوا.

(1) أورد الشماخي هذه القصة في سيره (465) في عبارات تختلف بعض الشيء عن عبارات ابن الربيع الوسياني.

(2) ترجم أبو زكرياء في سيره للشيوخين، أبي القاسم يزيد وأبي خزر يغلا ترجمة مطولة (ورقة 116 - 151). وهذه الترجمة هي التي نقلها كل من الدرجيني في الطبقات (119/1 ومايليها) والشماخي في سيره (ص 346 ومايليها) ولكن دون أن يضيف أحدهما أية معلومات تذكر. وعلى العكس من ذلك، فان ترجمة أبي الربيع الوسياني تنطوي على عناصر جديدة مهمة، ولا سيما فيما يتعلق بالفتوى والفقه بصفة عامة.

وسكت وقطع عن التمام، أو قال، لا حول ولا قوة وقطع، فوقف وسكت.

فقال أبو خزر، رحمه الله، أشرك بهذا عندنا، انما يلزمنا الحكم بالظاهر.

فقال أبو القاسم، ثم احتمالان، لعله يعني: لا اله في الأوائل في الأوائل، أو أضمر في نفسه اتمام، ولا يظن بالمسلم الا خير، كما قيل عن الامام، رضي الله عنه: من الدين اذا جاء أحد بوجه يحتمل وجوها، حملة على أحسنها.

واختلفا أيضا في الأبوين، أيهما أعظم: قال أبو خزر، الأب أعظم حقا "وأعقل، لأنه المأخوذ بحقوق الولد. وقال أبو القاسم، الأم أعظم حقا، لأنها أكثر مؤنة. وقد قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه سئل أي الأبوين أعظم حقا، فقال للسائل^(أ): التي حملتك بين الجنين والتي أرضعتك بالثديين والتي حملتك على الفخذين وقال أبو خزر من يعالج نفسه من أهل الدعوة، اما أصاب واما لم يصب، واما من لم يعالج ولم يصب شيئا.

وقال أبو القاسم، من يعالج نفسه من أهل الدعوة، فانه يصيب على كل حال. وأما من لم يعالج نفسه منهم، اما أصاب، واما لم يصب.

وحكي عن أبي خزر أنه قال، الناس والشيطان، مرة صرعه، وتارة صرعوه. والسعيد منهم من أدركه الموت في صرعه للشيطان.

وذكر عن مشائخ طرابلس أنهم قالوا: من يعالج نفسه في آخر الزمن، فله أجر سبعين رجلا، مثل أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما.

وذكر في كتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سئل عن معنى قوله تعالى: "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم"، فقال: "ااتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر، واذا رأيتم شخصا مطاعا وهوى متبعا، وأجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك أمر العوام. فان من ورائهم امام

(أ) هذه الجملة غير واردة في (أ).

الصبر. من صبر منهم، مثل من قبض على الجمر. للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا، يعملون مثل عمله".

وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "انتم في زمان التارك لعشر ما أمر به، هالك. وسيأتي زمان، الأخذ فيه بعشر ما أمر به ناجح".

وبلغنا أن رجلا [كان] عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه⁽¹⁾ (و) تلى قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (24)، فقال ابن مسعود، ان هذا زمانها، قولوها ما قبلت منكم، فإذا ردت عليكم، فعليكم أنفسكم.

وقيل عن أبي بكر، رضي الله عنه، أنه قال: نزلت في قوم آمنوا بالله ورسوله فشق عليهم أمور آبائهم وأخوانهم الذين كانوا في الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية تعزية لهم.

فصل في أخبار ملتقطة^(أ)

ذكر أن عبد الله المديوني، رحمه الله، سأل رجل عن رجل وجب عليه عتق رقبة في كفارة، فاشترى لها رقبة، فإذا هي من ذوات محارمه، فأفتى له عبد الله المديوني اذ ذاك بجزية.

وكان الشيخ أبو محمد ويسلان بن صالح غائبا، فلما جاء أخبره العزابة بالمسألة، فقال، هذا جواب الرعاة، فقال عبد الله المديوني، ما أصابه أولاد المشائخ، فكيف بالرعاة!

قال أبو الربيع، قدم أبو زكرياء يحيى بن أبي زكرياء⁽²⁾ طرابلس زائرا، فجمعه مجلس ذات مرة مع زكرياء بن أبي زكرياء، والناس يستفتون زكرياء بن

(1) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، من أكابر الصحابة ومن السابقين إلى الإسلام، كان مقربا من رسول الله (ص) ورفيقه في الأسفار وفي غزواته. وتي بعد وفاة النبي بيت المال في الكوفة. رويت عنه أحاديث كثيرة وله ترجمات عديدة يمكن مراجعة بعضها في الاصابة (ت 4955) حلية الأولياء (124/1) تاريخ الخميس (257/2).

(أ) هذا العنوان من (ب) غير وارد في (أ).

(2) قارن ترجمته مع أخيه زكرياء في سير أبي زكرياء (في عدة أماكن) طبقات الدرجيني (2/448 ومايلها) سير الشماخي (ص 437).

جرنان⁽¹⁾ حتى أصاب رخصة في مسألة أن المعمول من نبات الأرض، مثل الحصر وغيره تنقيه الشمس والريح. فقال له زكريا بن أبي زكرياء، ليس هذا من المعلوم، يا شيخ! كأنه لم يوافقه جوابه. قال، بل كان معلوما!

فكرر عليه أبو زكرياء بن أبي زكرياء في مسألة، فقال زكرياء بن جرنان، فإذا، الذي يقوله الناس [أن] أولاد المشائخ لا ينقادون صحيح!

فقال زكرياء بن أبي زكرياء، قال عقبة المشجاف^(ب) لأولاده: اياكم والمرخصين، اياكم والمرخصين! لئلا تفارقوا دينكم وأنتم لا تشعرون.

وذكر أن أبا عمران موسى بن أبي زكرياء، ضاق في الوقوف بين الحارث وعبد الجبار اللذين وقع الخلاف بينهما، فأفتى في الوقوف فيهما عبد الله المديوني، وقال انهما لم يبلغا صلاحهما الا مقرونا بحذقهما، فتنازعا في ذلك، فورد عليهم أبو يعقوب يوسف بن نفاث، فسألوه عنها، فوافق جواب الشيخ أبي عمران، وقال، هذه النكارة بعينها، يعني قول من قال فيهما بالوقوف.

ثم كان ذات ليلة اذ جاز أبو عمران على العزابة، وفيهم عبد الله المديوني، فاستقى ماء، فبادره العزابة بالماء فشرب، فقال: ما تقولون فيمن وقف لكم في أئمة المسلمين؟ فأدار العزابة بينهم السؤال، حتى انتهى إلى عبد الله المديوني، فقال: من وقف فيهم ولم تقم عليه حجة، فليس عليه شيء، فلم يقنع ولم يسمع المديوني.

ثم قدم عليهم أبو يعقوب بن سهلون اليرساني⁽¹⁾ فسألوه عنها، فقال، نعم كفوا عن الشيخ ومنازعته، ولعله لم تبلغه الحجة فيها قبل حدثهما.

(أ) كذا في (ب). وفي (أ): ابن جردان.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب): المستجاب.

(1) ترجم له الدرجيني بين علماء الطبقة التاسعة (سنة 450 - 500) ووصفه بأنه "الكثير البر، العزيز الحفظ في فنونه" الطبقات (2/422 - 424)، وقال عنه الشماخي انه "كان كثير الحفظ متقن لما حفظه" (ص 409 - 410).

(ج) كذا في (أ). وفي (ب): الرنياني.

فكتب الشيخ أبو عمران لأبي عبد الله محمد بن بكر، فقال : أخبرني بما حفظت عن الشيخ أبي نوح، رحمه الله، في هاته المسألة، فأجابته، فقال : الله أعلم في الحارث وعبد الجبار. وأيما رجل لم يبلغك صلاحه الا مقرونا بحدثه، فليس عليه شيء.

فقال رجل من تلامذة أبي عبد الله، وهو سعيد بن ختما⁽¹⁾ بن أبي ويسلان بن يعقوب الدرجي، أخذت أنا مسألتي ولا أبالي بالحارث وعبد الجبار !

وذكر أن أبا عمران موسى بن أبي زكرياء⁽¹⁾ قال : الأذان في الغيم بدعة، واقران الصلاة للمقيم رخصة. وخير المجالس ما استقبل القبلة. وعنه أيضا، صلى مع جماعة صلاة العصر، فأَمَّ بهم رجل، فلما سلم، خطب وطول الخطبة فطفق الشيخ ينفض ثيابه ويقول : صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قصدا، وخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قصدا، تذكرة وتنبيهها للامام.

قال أبو الربيع، سأل أبو سليمان ينوط، صاحب أبي خزر الى مصر، أبا عمران عن ثمر بال عليه الجديان، وقال : ابسطها الى الشمس والريح حتى تيبس. فقال أبو سليمان : رزقك الله الجنة، يا شيخ ! قال : وأنت رزقك الله الجنة !

وذكر أن أبا عمران سئل عن مريض، وقد أفاق من مرضه وقد نسي ما حفظ من القرآن، فأجاب فيها برخصة.

وذكر لي محمد بن عطية المزاتي، أنه قرأ كتابا على الشيخ أبي عمران، وكان الشيخ به رمد، قال، فقلت له، هكذا أدركت الناس يا شيخ، فاستوى جالسا، فقال : حاشاهم، حاشاهم. من ذلك ! فقد أدركنا العلماء والعباد والورعاء، فماتوا حتى لم يبق واحد منهم.

وقيل ان أبا عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه، قال، اجعلوا حوائجكم كلها بكريات. فان لم يقم الى الفريضة لم يوافق وقتها.

وكذلك حكى عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه (أنه) قال، من لم يتأهب للصلاة قبل وقتها، لم تقربها عينه.

وقد ذكر يحيى بن يوسف المديوني، رضي الله عنه، أنه قال، ان يوسف ابن مرصوكسن⁽¹⁾، وكان من مزاته، من تلامذة الشيخ أبي الربيع، قدم ذات مرة من افريقية، فسأل الشيخ أبا الربيع عن مسائل نزلت عليه في افريقية زمن ذلك ملأت فمي بالله، ومن قال : ليس ثم الا الله، يطلع وينزل، ومن قال : صار الله خبزا، فأفتى له الا يعجل بالبراءة في مثل هذه المعاني، [اذ] يحتمل هذا اللفظ أن يقول معنى قول القائل : ملأت فمي في الله تعظيما للقسم بالله. ويحتمل قول من قال : ليس ثم الا الله يطلع وينزل، يعني ذكر الله اذا كثر الحلف به. ويحتمل قول من قال : صار الله خبزا، تهوينا للقسم به، كتهوين أكل الخبز عندهم.

وهذا كالذي يذكر عن الامام أفلح رضي الله عنه⁽¹⁾ أن من دين الله الحديث.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : ابن مرصوكسو.
(1) هو الامام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثالث الأئمة الرستميين، بويع في اليوم الذي توفي فيه أبوه، وقد اشتهر بالعدل والشجاعة وقوة الساعد، كما عرف بشغفه والمدولة فيه ومساجلة العلماء. وصفه الشماخي بقوله : "الامام التقى، العدل، العالم، الانجيج، أمير المؤمنين، أفلح بن عبد الوهاب الذي تمسك بالحجة البيضاء والصراط الافيج". وذكر سليمان الباروني أن أفلح قد خلف عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة ونصائح ومواعظ وحكما "كما كان أدبيا ذا اقتدار على النظم". وقد امتاز عهد الامام أفلح، خصوصا، بتوثيق علاقات تبهرت مع عدد من ممالك افريقية السوداء، وفي مقدمتها مملكة كوكو (أنظر عنها البكري - ص 183. والأديسي - ص 34) التي تبعد عن تيهرت بمسافة ثلاثة أشهر. وكانت القوافل التجارية تغدو وتروح بين البلدين، كما قامت علاقات بين هذا الامام وبين خلفاء الأندلس الأمويين. وقد تعرض ابن الصغير المالكي الذي عاش في ظل الدولة الرستمية ويكتب في تيهرت في تاريخه لوصف عهد الامام أفلح، فقال انه كان عهد ازدهار اقتصادي لم تعرف له البلاد مثيلا من قبل. فقد عَمَّر أفلح المدينة (تيهert) وبنى فيها القصور واتخذ لها بابا من حديد، "وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستقلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والأفاق بأنواع التجارة، وتنافس الناس في البنين حتى ابنتي الناس القصور والضياح خارج المدينة، وأجروا الأنهار... وانتشرت القبائل وعمرت العمائر، وكثرت الأموال بأيديهم. وقد توفي الامام لتأثره من سجن ابنه، أبي اليقظان، في بغداد، وذلك في سنة 240 هـ. فكانت مدة خلافته ستين سنة، على حد قول أبي زكرياء والدرجيني (الذي ينقل عنه معلوماته) أو خمسين سنة، في رواية ابن الصغير. وهذا الخلاف يتصل بقضية تاريخ وفاة أبيه الذي يسود الاختلاف بشأنه بين المؤرخين. راجع، تاريخ ابن الصغير (ص 23 - 32) سير أبي زكرياء (ورقة 6 ومايلها وتعليقنا رقم 1) طبقات الدرجيني 54/1 - 55 و 72/2 - 83) الأزهار الرياضية (166/2 - 222) تاريخ الجزائر العام (23/2) الكامل (519/6) معجم أعلام الجزائر (ص 52).

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) نحنتى.
(1) أنظر أخباره في طبقات الدرجيني (401/2 - 407 - 410 - 411).

وفي تلك السنة جرت بينهم مسائل أصابوا فيها الجواب، منها : رجل ذكر بحضرته رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصل عليه، ومن لم ينصت إلى قراءة الامام في الصلاة، ومن سلم عليه ولم يرد السلام، ومن قرأ القرآن، فلم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن قال أفعل كذا غدا، ولم يستثن، فأجابوا فيهن بعضيان من فعل شيئا من ذلك، ولهن دلائل في القرآن والآثار.

قال الله تعالى : "إن الله وملائكته يصلون على النبي" الآية. وقيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صعد أول درجة في المنبر، فقال آمين، ثم رقا الثانية، فقال آمين، ثم رقى الثالثة، فقال آمين، فقال له أصحابه : أمنت ثلاثا يا رسول الله. قال : "سمعت الملائكة في السماء، يقولون، من ذكر محمد عنده فلم يصل عليه، فجزاؤه جهنم، فلت آمين ومن أدرك رمضان ولم يدخل به الجنة، فجزاؤه جهنم، قلت آمين، ومن أدرك رمضان أحدهما ولم يدخل بهما الجنة، فجزاؤه جهنم، فقلت آمين".

قال الله عز وجل : "واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون".

وقال : "واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها". وقال : فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم". وقال : "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله".

قال أبو الربيع، اجتمع مشايخ من أهل الدعوة فيهم أبو عبد الله محمد بن بكر وأبو محمد عبد الله بن زوزراتن⁽¹⁾ ومحمد بن سودرين وعبد الله المديوني وغيرهم ممن حضر، فاجتمعوا في حلقة كبيرة في المسجد الكبير الذي في ورجلان، فسأل رجل عن مسألة : هل يأخذ الرجل الأجر على تعليم القرآن؟ قال، فتدافعوا المسألة فيما بينهم، فلا أحد يجيب فيها بشيء. فقال أبو عبد

(1) ورد الاسم في المخطوطتين برسم : زوزرتن في (أ) وهذا الرسم هو الذي اعتمدته الشماخي في السنين وزوزراتن في (ب)، وقد ترجم له الدرر جني (في النسخة المطبوعة) باسم زورستن. وترجمته وردت في فصل واحد مع أبي عبد الله محمد بن سودرين وميمون حمودي بن زورستن، تحت عنوان : "الشيخ الثلاثة الكنوميون". راجع الطبقات 395/21 ومايلها. وكذلك ترجم الشماخي الذي ينقل كثيرا عن الدرر جني ويسير على منهجه للشيخ الثلاثة مجتمعين. راجع السير (ص 394 - 396).

الله محمد بن بكر لعبد الله المديوني، أجب له مسأله. فقال، نعم، يأخذها على تعليم القرآن، فعلام يأخذها على رعاية البقر. وانما يحمل جوابه على ما يفعله أهل الدعوة من تعليم الخط وتقليم الأقلام وحفظ الصبيان وأدبهم.

وذكروا أن جماعة من العزابة توجهوا إلى "تنومة"، فيهم أبو عبد الله محمد بن بكر وأبو سليمان داود بن يوسف⁽²⁾ وقد كانت على أبي سليمان داود تباعة لرجل من أهل تنومة. فبينما هم في طريقهم ذلك، اذ لقيهم زنگيل بن نوح بن أبي نوح سعيد بن زنگيل، فسأله أبو سليمان عن الرجل صاحب التباعة، فقال تركته على سبيل الوفاة، فرجع من ذلك وشق عليه. فقال أبو عبد الله كنت أطلبه بمال وأني أعطيتك منه كذا وكذا مقدار تباعته، فقبل ذلك منه، فكان قضاء تباعته في ذلك.

قال أبو الربيع، كان رجل من بني دمريقال له بلغن^(أ) من تلامذة أبي عبد الله، وكان يخدم العزابة في تين يسلي ويخبز لهم، يومئذ قليلة، فكان يعتني في خدمتهم ويحتسب ما عند الله، فربما قال له بعض العزابة، لم ينضج خبزك، يا أبا بلغن فيقول لهم، استأنف ان شاء الله، عملا أفضل منه، فكان في ذلك ما قدر الله.

ثم انه مرض فأوصى واستخلف على وصيته أيوب بن محسن الدمري، وهو من خيار من أدركنا في زمانه، فتماذى به المرض حتى أتاه ما لا بد منه من قضاء الله، فمات، فأخذ أيوب بن محسن^(ب) في انفاذ وصيته، فأنفذ بعضها فتبين له أنه أنفذ في غير ما أوصى به، فالله أعلم بأي الكفارات أمر، فسأل الشيخ أبا عبد الله فرخص له أن ينوي ذلك في وصيته نفسه وينفذ من ماله على الميت بما أوصى به.

(2) ترجم له الدرر جني ضمن علماء الطبقة العاشرة مع أبي الربيع سليمان بن يخلف، ووصفه بأنه "أحد المشايخ المذكورين والفقهاء المشهورين"، وبعد ذلك، أورد قصة أبي الربيع الوسياني عن جماعة العزابة الذين توجهوا إلى "تنومة" الخ. راجع الطبقات (437/2 - 439). ونفس القصة نقلها الشماخي عن أبي العباس عند الحديث على أبي سليمان داود بن أبي يوسف الذي ينسبه إلى ورجلان. راجع السير (ص 418).

(أ) كذا في (أ). وفي (ب) : بلغن بعين مهملة.
(ب) كذا في (ب). وفي (أ) بتحريف : ابن عيسى.

قال أبو الربيع أصطحب رجل من خيار أهل الدعوة مع رجل من أهل مزاته الى افريقية فيما ينفعه به . فلما وصلوا في بقية ، ناوله في قبائل مزاته ، فقالوا ان كان صاحبك يأخذ الصدقة والحقوق ، فنحن ندفع له حتى يستغني . قال ، فأبى أخذ الصدقة ، فجمعوا له من أموالهم ما تيسر لهم على غير سبيل الصدقة والزكاة ، فبلغ ذلك أبا عبد الله ، فقال لي ، قل لفلان ، وهو سليمان بن موسى ⁽¹⁾ بن عمر ، رضي الله عنه ، لا يتأخر وراءه حتى يقع ⁽²⁾ ، ومال الله خير من أموال الناس ، يعني الصدقة والزكاة . وفي المثل : سرعة الرجل خلفه أشد من سرعته قدامه .

حكى عن أبي الربيع في أمينين استسكا برجل أن تعدي على أموالهما فأكلها أنه يبرأ منه ولا يحكم عليه بمال .

وقال في رجل تخلف عن أصحابه فأدركهم ، فوجدوا قوما يقاتلونهم ، فشهد له أمينان من أصحابهم أن هؤلاء الذين يقاتلونهم بغاة عليهم أنه يقاتل معهم .

وذكر أبو الربيع أن عبد الله بن يشكر ، قال : من صلى صلاة الصبح فقعد في موضعه يذكر الله حتى تطلع الشمس ، فيختم ثم يقعد في مجلس الذكر حتى يفترق فيصلّي الضحى ثم يمضي الى ضيعته وشغله ، فقد أعطى للدين أكثر من سهمها .

وذكر أن أهل جربة سألوا أبا صالح عن رجل يصلي ويصوم البيض من الشهر ، فهل عليه شهر ذي الحجة ، هل يصوم اليوم الثالث عشر ، وهو من أيام التشريق ، أو يأكل فيه ؟ فأجابهم أن يأكل فيه ، ويصوم اليوم السادس عشر مكانه ، يكون له من الأجر ما لمن صام أيام البيض ، قال عبد الله بن يشكر ، هكذا كنت أفعل . قال ، ويسلان بن أبي صالح ، كان أبي يصوم الدهر ويفطر أيام التشريق ولا يصومها .

(1) سليمان بن موسى الزلفيني ؟ ترجم كل من الدرجيني في الطبقات (2/440 - 442) والشماعي في السير (ص 420 - 421) بهذا الاسم ، ولكنهما لم يذكر اسم جده عمر ، كما أنهما لم يشارا الى القصة التي أوردها هنا أبو الربيع الوساني . ومن هنا التساؤل عما إذا كان هو نفس الشخص .
(أ) كذا في (ب) . وفي (أ) : حتى يدع . وقد سقطت كلمة "ومال الله" .

قال أبو الربيع ، سرت ذات يوم من تين يسلي الى ورجلان فأوصاني أبو عبد الله ، رحمه الله ، الى أبي عبد الله بن زرزوتين أن أسأله عن رجل رعى ماشية لرجل آخر بأجر فتبين له أن الغنم ، أو الشيء الذي بيده حرام . قال فوصلت الى ورجلان ، فسألته ، فقال لي ، أولا يذكر محمد وقت أفتاها لنا أبو صالح في دفيء سدراته ⁽¹⁾ ، حين قال اذا تبين له أنها حرام تركها ويمضي لشأنه .

وحكى عن عبد الله بن زرزوتين أنه قال فيمن أطعم رجلا سمّا فمات أنه يقتل به .

وقيل عن أبي محمد ويسلان بن أبي صالح ⁽¹⁾ أنه ندم على ثلاثة أشياء : قراءة الجهات ، وترك زيارة أهل الدعوة ، وفوت مجلس أبي عمران موسى بن أبي زكرياء ، لأنه أخذ عن والده أبي صالح .

وقال أبو الربيع ، يرجى للشيخ أبي محمد في ثلاث : حفظ مجالسه ، وقصعة ضيافته والقيام بحوائج الضعفاء .

وكان اذا طلع الى جبل بني دمر ⁽²⁾ فربما استضافهم مقدم بني دمر ، وكان ممن يتخرج ويتورع من العزابة ينسل حذار من طعام أولئك ، فلا يصيب محيصا من الحضور ، لأن أعينهم ترعاهم .

وذكر عنه ولده أنه قدم ذات مرة من وجهته تلك فتصدق بخمسة دنانير احتياطا لما أكل .

(أ) كذا في (ب) . وفي (أ) بتحريف ، "في ذقت سورة" .

(1) راجع أعلاه (ورقة 8 هامش 1) .

(2) نزل التجاني أثناء رحلته في بلدة تسمى "وغمراسن" من المناطق الشرقية لجبل دمر الذي وصفه بالعبارات التالية : "وغمراسن اسم لناحية من الجبل المتصل الذي أصله جبل درن (سلسلة جبال الأطلس) بالمغرب ، وهو الجبل الأعظم الذي قل على وجه الأرض ما يدانيه سموا وامتدادا وكثر خصب واتصال عمارة ، ومبذؤه من المحيط في أقصى السوس ، مارا مع الشرق مستقيما الى أن يصل الى هذا الموضوع ، فيسمى دمر ، ثم يمتد فتسمى مسافة منه جبل نفوسة . فاذا حاذي طرابلس ، رق وخفي وامتد كذلك رفيقا الى أن يصل الى طرف أوثان من أرض برقة ، فينقطع هنا لك . وهو من مبدئه الى منتهاه مخصوصا بسكني البربر ، وبه كل طريفة من الثمار وغرائب الأشجار "الرحلة (185) وجبل دمر هو الذي يعنيه الشاعر في قوله : سقى الله صوب المزن أعلام دمر وروى رياه العارض المتراكم .

وحكي عنه أنه إذا أكل الطعام يحذر مسّ ثيابه التي يصلّي فيها، حتى يغسل يده وفمه. فقيل له في ذلك، فقال، بطوننا نحمل عليها ما لا نحمل على أدياننا.

ويقال أنه جاء إليه رجل من زواغه، فجرى بينهما كلام، فقال له الزواغي، كنت أحسب أن لي عندك قدرا وقيمة، فقال أبو محمد ويسلان : ان تمسكت بالحق فقيمتك عندي عظيمة، والا، لم تسو عندي حبتين.

وذكر أنه في زمان أبي صالح أعطي لرجل آخر غنما له على وجهه الطمأنينية، فطلبه أن يرد عليه غنمه، فاختصم معه إلى أبي صالح. فقال له أبو صالح : ردّ عليه غنمه، يا مشئوم.

وذكر أن رجلا من النكار، كان له دين على رجل من الوهبة، فمات الوهبي وأحاط دين النكاري بماله.

قال، فاستمسك بالوارث، فقال الوارث : دونك غريمك. فأبى النكاري، فقال له، أنما ديني عليه حتى توفيه لي، لأنك بمنزلة وارثه، فتخاصما إلى أبي صالح، ودعاه الوهبي، فأجابه النكاري، فاصطحبا إلى موضع قريب من أبي صالح، فقال له النكاري، اذهب إليه، فكل ما أفتى به لك قد رضيته.

فوصله الوهبي، فأخبره، فقال له أبو صالح، لم يظلمك صاحبك. بعّ التركة، وأوفه حقه.

وقال أبو محمد، ولده لو كان أبي يبذل فتواه، لبذلها لهذا الرجل، ولكنه، رحمه الله، لا يختلف جوابه في قريب ولا بعيد.

وروى أن رجلا طلب إلى أبي صالح أن يأخذ غلة شجرتين [من الأشجار] المعروفة بالشتوية وكان يشتهي [ثمارها] فأبى أخذها حذرا وتحرجا، فألح عليه في الطلب، فأبى فقال : يا شيخ، لا تحرمني أجرك ! فلو كان يباع عندك ما أدركته أنا. فلما سمع منه ذلك، قبلها.

وذكر أن رجلا من أهل جربة أرد أن يزوّج ابنته لرجل من النكار، فكرهت ذلك ولم ترض به، فشكته إلى المشائخ، أبي صالح⁽¹⁾ وأبي موسى، عيسى بن السمع⁽²⁾ فاستخلف أحدهما، فزوجها للآخر. فسمع بذلك والدها، فجعل يصيح، ويقول : يا للوهيبة، لا نكاح الا بولي، ويكرر ذلك.

وكان عبد الله المديوني اذ ذاك في جربة، فقال : أمض، يا جاهل اذا باعك الوالي، واشترك القاضي، فإلى من تشتكي !

وذكر أن أبا مسور قال لأبي اسماعيل ابراهيم بن ملال⁽²⁾ اذا اجتمعت الناس، فسوف أسألك عن ثلاث مسائل، فأجني بكفر من فعلهن.

فلما اجتمع الناس، سأله عن رجل زوج ابنته، أو وليته لرجل من المخالفين، فردّها إلى الخلاف. فقال، هلك، وهلكته. ثم سأله عمن رد صبيانه إلى مقر معلهم من أهل الخلاف، فردهم إلى المعلم إلى الخلاف، قال، هلك وهلكوا : وقال، ما تقول في رجل زوج وليته لرجل أكل للحرام، فاطعمها الحرام ؟ قال، هلك وهلك.

وروي عن أبي مسور، رضي الله عنه، قال، انما الدين بالورع والحرص، والدنيا بالسياسة والتلطف، والرجل بالعقل.

(أ) سقط اسم أبي صالح في (أ).

(1) راجع أخباره في طبقات الدرجيني (342/2).

(2) هو أبو اسماعيل بن البصير ابراهيم بن ملال المزاتي، ترجم له الدرجيني في الطبقات ضمن علماء الطبقة التاسعة، ووصفه بأنه "شيخ عبادة وورع واجتهاد في معرفة ما فرض الله وشرع". راجع الطبقات (412/2).

وذكر ماكسن بن الخير عن ويسلان، أبي صالح، عن أبي زكرياء عن والده، أبي مسور، عن أبي معروف⁽¹⁾ عن سعيد بن أبي يونس⁽²⁾ قال، فمن كانت به علة في بعض أعضاء وضوءه أن يجزيه التيمم، وإن أمكنه غسل غير ذلك الموضع من أعضائه، لأن التيمم غسل، والغسل غسل، ولم يفرض الله علينا غسلين.

(قال) أبو الربيع، قال محمد بن ويسلان، روي لي أبي عن^(أ) معرن، يعني عمه، أنه قال، من صلّى بالتيمم بلا عذر، فقعد حتى خرج الوقت، انه كافر بالله العظيم.

(1) راجع أخباره في طبقات الدرجيني (327/2 - 349).

(2) ترجم له الشماخي في سيره (ص 414) وقال انه عامل الامام عبد الوهاب على قنطرة، وقد خصص أبو زكرياء مكانا مهما في سيره، في نطاق روايته للشفاق الثالث الذي وقع في صفوف الاباضية، لسعد بن أبي يونس ولزميله نفث (وكلاهما من جبل نفوسة) اللذين درسا على الامام عبد الوهاب في تيهرت. ولما أنما تعليمهما، أعادهما الامام الى بلدهما وزود سعد برسالة مختومة، هي وثيقة تعيينه على قنطرة، وأمره بعدم فتحها حتى يصل الى بلدته. وفي الطريق طغت روح الفضول على زميله نفث ففتح الرسالة وأخذته الغيرة، ومنذ ذلك الحين دخل في صفوف المعارضة لحكومة الامام. راجع سير أبي زكرياء (المخطوطة - ورقة 72 ومايلها). وأما ما ذكره الدرجيني في الطبقات عن هذه الأحداث وعن سعد بن أبي يونس، فهو لا يعدو كونه تلخيصا مبتورا لرواية أبي زكرياء. راجع الطبقات (77/2 ومايلها).
(أ) كذا في (ب). وفي (أ) بتحريف: "روي لي أبي معرنا".

وذكر عن ماكسن بن الخير أن عمار الزواغي، قال، أقبلت ذات مرة من طرابلس مع قافلة، فلما كنا ببعض الطريق، أجهدني العطش، فسبقت أصحابي الى البئر، فوجدت فيه طيورا ميتة، فأدليت عمورتي حتى امتلأ، فحركته، فرجعت الطير في غيابات البئر، فرجعت عمورتي وشربت ثم قدّمت قرية وسألت الشيخ أبا موسى، عيسى، عن مسألتني وما فعلت.

قال الذي فعلت هو المعمول به. وكان عمار هذا قال للمعلم: انصت لأعرض عليك قراءتي. قال، فقرأ عليه مليا، ثم قال للمعلم، ما حال قراءتي؟

فقال المعلم، قرأنا قرأته وانتهى. فقال عمار، آمين، فابتلى المعلم باللغوث فرجع فمه الى ناحية أذنه، فبلغ به الأمر حتى ربط دينارين لمن يقتله.

[قال] أبو الربيع، قدم رجل من مزاته يقال له أبو زكرياء توزين جربة^(أ)، في زمان أبي زكرياء، فوافي المسجد بعد غروب الشمس، قبل أن يصلوا المغرب، والناس قد استقبلوا القبلة، فلم يقوموا اليه.

فلما فرغوا من صلاتهم مالوا عليه وعانقوه بأجمعهم، فقال أبو زكرياء، أجرك الله يا أبا توزين في زيارتك لنا، فقال أبو توزين، ليس لزيارة جئت، يا شيخ، ولكن لحوائج كانت لي.

ثم بعد ذلك بزمان، قدم عليه ثانية، فقال أبو زكرياء، يا نعم الرجل أبو توزين، فقال، بخير وعافية، وما أتيت الا للزيارة.

فقال له أبو زكرياء، نعم الرجل أبو توزين، زيارته زيارة، وحوائجه، حوائج!

وذكر أن رجلا سار في زيارة أخ له في الله، فمرّ في طريقه على كلاً، فهمّ

(أ) كذا في (ب). وفي (ب): أبو زين جربة.

إذا رجع أن يحشّ لدابته، فترك الزيارة لما عرض له.

قال أبو الربيع، قال أبو محمد، جاء رجل إلى عبد الله المديوني في جربة، وقال له، عندي شيء من الحقوق أريد أن أدفعها إليك، وقد كان فلان قبل هذا إذا دفعت إليه الحقوق يردّ عليّ منها. فقال له عبد الله، لا يجوز الاتفاق على ذلك، فذهب الرجل، فأتاه بما ذكر، فدفعه له. فلما قبضه انتهره بالكلام، وقال: اذهب، فإن ذلك لا يجوز، ولم يردّ عليه شيئاً.

قال أبو الربيع، قال محمد بن ويسلان أيضاً، قد فعل له ما يستحق. وذكر أن أبا ماطوس، قال لمن يرد عليه من أهل السهل، بلغنا عن رجال منكم أنهم يأخذون الصدقة ويردون منها على من أخذوها منهم، فنها عن ذلك وزجروا عنه، فانه مما لا يرضاه الله.

فصل آخر

قال أبو الربيع، طلعت ذات سنة إلى إفريقية في جماعة من العزابة، في زمان الشيخ أبي نوح، سعيد بن يخلف، رضي الله عنه، وغيره من المشائخ، وكان العزابة حينئذ قدموا إفريقية يدورون في أحياء مزاته وغيرها، والجماعة عازمون مجتهدون.

وكان الشيخ أبو نوح وغيره من مشائخ زناته، يولون جميع المعروف والحقوق والصدقة من مزاته وغيرهم بأنفسهم، حتى يجمعوا ما قدر الله فيصرفونه دراهم. "قال، فأتى المشائخ تلك السنة بسرّاويل مملوءة بالدرهم"^(أ) على قربوس السرج، فدفعوا إلى من ينظر إليه من أكابر العزابة، وأنا فيهم، فدفعوا لهم المال، فقبضوه منهم ثم [أخذوا] يفرقونه على سائر العزابة على قدر ما يرون لكل واحد منهم، فيدفعونه لهم في وصايا أنفسهم، فضاق بذلك بعض العزابة، فقالوا، هذا معروف جمعه أهل الدعوة لعامة العزابة، فلنسنا نأخذه على هذا الوجه.

(أ) هذه الجملة غير واردة في (ب).

فاتصل ذلك بالشيخ أبي عبد الله، محمد بن بكر، فقال، علام تفعلون هذا؟ [فهو] شيء جمعه أهل الدعوة لعامة العزابة، قال، فقال لي، لعلك أفتيت لهم بذلك وقلت لست ممن يقوم بالفتوى.

قال أبو الربيع، سرنا ذات مرة إلى إفريقية بجماعة العزابة، وفيها سعيد بن ابراهيم، قال، فخرجنا عن حي يعمل فيها المنكر بالمعازف^(أ) والملاهي، فقام سعيد إلى معزف امرأة منهم فكسره، فإذا هي بنت عامل صنهاجة.

فلما رأى العبيد والصبيان ذلك، قاموا في العزابة يصيحون عليهم بهياط ومياط ويطردونهم.

فبلغ ذلك أنحا العامل، فركب اليهم، فقال، ما هذا؟ فأخبروه بالقصة، فردّ الغلمان والعبيد عن العزابة.

قال أبو الربيع، فسرنا في وجهتنا تلك حتى انتهينا إلى حي من أحياء مزاته، فأعلمناهم بما نزل بنا، فقالوا لنا ان شئتم تقيموا عندنا، فانا نمنعكم بأنفسنا، ولو تفنى في ذلك أرواحنا، ولا نبالي ما أصابنا من أجلكم. فأبى العزابة أن يقيموا عندهم، فمضينا إلى موضع نطمئن فيه، فهرب سعيد حينئذ، فانتهى إلى الجزائر، فكان يبعث إلى العزابة يستحلهم مما أصابهم بسببه ولغوه.

فبلغ ذلك أبا عبد الله، فعظم عليه الأمر، وقال ليس هذا برأي، كاد الرجل أن يهلك العزابة، وانما يجمل في مثل هذا ويحسن، كما فعل نيكول بن عيسى بالرفق والهون والسياسة. كان مرّ ذات مرة على قوم يعكفون على الملاهي، وقال لهم: يا قوم، أتعتبم أنفسكم، هذا وقت الرقاد والراحة. أتركوا السهر وارقدوا، تستنفعوا بما أكلتم.

فقال القوم: صدق العزابي، ففرقوا عن حينهم ذلك. [قال] أبو الربيع، قال أبو جعفر، يوسف بن نغاث، لا يجب^(ب) علينا نهى المخالفين فيما

(أ) كذا في (ب). وفي (أ): والمعروف.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب): لا يلزمنا.

استحلوا في مذهبيهم . وأما غير ذلك من المنكر، فهم كغيرهم سواء . وقيل غير ذلك .

وذكر أن أبا محمد، جمال المديوني⁽¹⁾ أصابته سنة شديدة، فنظر الى رجل قد بلغ الضياع هو ووعيلاه وعنده قطعة إبل وأمره أبو محمد جمال أن يتخذ منها لعيلاه، فأبى، فقام أبو محمد، فعمد الى إسمانها فنحراها، فصاح به صاحبه وهو يقول : غيرها، يا أبا محمد، فلم يشتغل به أبو محمد ولم يصنع لكلامه، فنحراها، فأغار عليهم العدو فساقوا إبل الرجل، فلم يجاوز تلك السنة الا بلحم تلك الناقة التي نحرها لهم أبو محمد .

وذكر أن رجلين اختصما على مصحف هو لابن محكم الهواري، حتى بلغ تشاجرهما قبائلهما وكادت الثورة تقوم بينهما، فقسمه أبو محمد نصفين بينهما، فوافق قرطاسا بين النصفين لم يكتب وأعطى لكل نصفاً وزال ما بينهما من الشر واصطلحوا .

وذكر الشيخ ميمون بن حمودي⁽²⁾ أن هود بن محكم الهواري جاءه رجل من العزابة يستعينه على ما يفك كتبا له مرهونة عند رجل من النكار، بخمسة دنانير، فدعا هود بن محكم الهواري رجلاً فقال له سر مع هذا الرجل الى قياطين مزاته، فجاءهم وأخبرهم القصة، وتسارعوا فيما يصنعون له من [جمع] الأموال، فبسطوا بساطاً، فطفق الرجال والنساء يرمون فيه الدنانير والدراهم وما أمكن كل واحد منهم، فجمع من ذلك مالا كثيراً، فضموا أطراف البساط، فرفعوه، فأثوا به هود بن محكم، فعمد الرجل صاحب الكتب الى خمسة دنانير فأخذها، وترك الباقي، فقال لهود، أنت أولى به، يا شيخ، فان المثونة عليك كبيرة ممن يقصدك ويعتبر بك⁽³⁾ .

(1) كذا ورد في المخطوطين . ترجم له الدرجيني في الطبقات باسم : أبو محمد جمال المديوني، وصفه ضمن علماء الطبقة السابعة (سنة 300 - 350)، ووصفه بـ"الاسلاف المتلافي في سيرهم، الشامل ما أشرف على الشتات"، راجع الطبقات (345/2 - 349). أنظر أيضاً سير الشماخي (ص 290) الذي ينقل مادة ترجمته لجمال المزاتي المديوني عن أبي العباس الدرجيني .

(2) ترجم له الدرجيني في الطبقات مع أبي عبد الله محمد بن سوردين وأبي عبد الله محمد بن زرزن، ضمن علماء الطبقة التاسعة وذكر نبذة من الأخبار لكل واحد منهم . راجع الطبقات (395/2 - 399) وحذا حذوه الشماخي الذي نقل عنه معظم مادته في السير (ص 394 - 396) .

(3) أورد الدرجيني هذه القصة في الطبقات (398/2) .

وفي هذه الرواية تصديق لقول الامام عبد الوهاب، رضي الله عنه : "انما قام هذا الدين بسيف نفوسه وأموال مزاته .

وذكر أن أبا عبد الله، محمد بن بكر، رضي الله عنه، قدم جربة زائراً وأوصى عمران بن يعلا بخصال، منها قراءة القرآن والمواظبة عليه، والرغبة الى الله، والرأفة بالضعفاء، وقال له : احمل نفسك على مالك يحملك .

وذكر سعيد بن عمار الزواغي، عن ابن عبد الله ثلاث مسائل : احداها من قال لمتولي يا رجل سوء، انه يبرأ منه، والثانية، من توضع لاعفاء وضوءه في الماء، أجزاه ذلك، والثالثة، العظم الذي يتركه الأضياف في المنديل، ان يتركه لم يقسم لهم من غير اذن صاحبه .

وذكر أبو الربيع مسألة : اذا شهد رجل أمين عند رجل آخر أن فلانا رجل صالح، ثم بعد ذلك شهد رجل آخر من أهل ولايته عنده على ذلك الرجل أنه صالح، ولم يشهد الآخر الا ونسي شهادة الأول . هل يلزمه شيء من ذلك أم لا ؟

فأجابه فيه الشيخ مناد الا يكون عليه شيء اذا لم يشهد الآخر الا وقد نسي شهادة الأول .

وقال أبو الربيع، فقدّمنا الى الشيخ أبي عبد الله فسألناه عنها، فقال، الامينان حجة، فرجع مناد عن قوله .

قال أبو الربيع، ثم نزع مناد عن قوله، كأنه أشار أن يكون النسيان عذراً في مثل هذا .

وقال الشيخ ماكسن عن ابن عبد الله أنه قال، لا يعذر في هذا النسيان والحجة قائمة عليه . وقد تنازع أبو الربيع مع مصالة بن يحيى⁽¹⁾ فيمن حجر

(1) ترجم له الدرجيني مع فلول بن يحيى، ضمن علماء الطبقة العاشرة . راجع الطبقات (192/1 و 451 - 453) وقد نقل عنه الشماخي معظم مادة ترجمته له . راجع السير (ص 428 - 429 و 433 و 451) .

عليه صاحب البيت ألا يدخل بيته، فدخله على الحجر، فقال مصالة، ييرا منه، قال أبو الربيع، لا يعجل عليه بالبراءة، فإن الله قد حجره عليه بنهيه إياه عن الدخول بغير، إذن، ومازد صاحب البيت عن نهى الله شيئا.

وأما من حجر على رجل ألا يقعد في بيته بعد ما دخله بأذنه وقعد فيه بعد الحجر، فقد هلك، في قول أبي الربيع.

قال أبو الربيع، تنازعت مع الشيخ مزين بحضرة أبي عبد الله فيمن أمر طفلا بفعل يكون من البالغ كبيرة، فأجاب مزين⁽¹⁾ فيها أنه يبرأ منه، فعارضته في جوابه وحاججته، فالتفت إلي، وقال، ما الذي تقول أنت؟ كأنه أشار إلى تقوية قول الشيخ مزين، رحمه الله.

قال أبو الربيع، سألت أبا الربيع بحضرة الشيخ مزين، هل على الناس أن يعلموا أن الدنيا ستفنى؟

قال، اسمع، يا مزين، على الناس معرفة البعث والقيامة. هكذا قال المسلمون، فصار هذا يسأل عن فناء الدنيا كالمتعجب بسؤالي.

ذكر عن عبد الله بن مانوح، رضي الله عنه، في معنى قول الناس في البهائم، ليس بيننا وبينهم براءة ولا يفعلون ما يستحقون عليه البراءة.

قال أبو الربيع، سأل رجلان سؤالا واحدا، في مرة واحدة من نواحي شتى من غير اتفاق منهما في مجلس أبي عبد الله. فقال كل واحد منهما ما دواء وثواب⁽¹⁾ القلب يا شيخ؟ وتأوه، وقال، مرض واحد، مرض الشيخ، يا صاحب. قال أبو الربيع، قال أبو عبد الله: لا يبيس ورق الزرع إلا بذنوب من يدعي الاسلام.

وذكر أن أبا عبد الله جلس ذات ليلة في زمان العزابة يأكلون سحورهم، فقال لهم، اشتغلوا فيما أنتم فيه، وأنا أراقب لكم الفجر. [وكان] ذلك بعد

ذهاب بصره. فاشتغلوا في الأكل حتى قال لهم: ارفعوا أيديكم، فرفعوا أيديهم وأمسكوا عن الأكل، فنظروا إلى الفجر كما بزغ.

وذكر الشيخ اسماعيل بن أبي زكرياء أن الشيخ أبا عبد الله، قال، انما يفارق الجماعة رجل استغنى برأيه وقطع أمرا دون الجماعة، فكان ذلك كمثله وتد ضرب في الخشبة، فاذا اجتمعت الجماعة على فعل ما لينظروا فيه، قام رجل من الجماعة مغضبا فيخاصم ويزين فعل الأول، فيصير ذلك الودد في الخشبة اذا ضرب سمع له صرير، ويفرق الجماعة إلى نصفين. وهذا مثل لمن يفرق الجماعة، فمن ذلك، ينبغي ألا يستغني الرجل برأيه فيما كان فيه مع غيره سواء.

فانه قيل عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه من استغنى برأيه زل⁽¹⁾ ومن اقتحم الأمور غضب.

وذكر عنه أيضا أنه قال، أوصاني أبو عبد الله حين مضيت من عنده، فقال، اذهب إلى منزلك، فان وجدت من تقدمه في الأمور، فاتبعه، فان لم تجده، ووجدت من تتعاونون معه، "فتعاونوا على البر والتقوى"، فان لم تجده ووجدت من يسعى في الخير، فكن أمامه. فان لم تجد أحدا من هؤلاء، فاستقم على الطريق وحدك.

وذكر يعقوب بن أبي القاسم أن رجلا من نصير يسمى عبد الله بن المنصور، قد رجع عن الأمور، وكان قوم ممن يدعي الصلاح من أهل أسوف يسعون فيه إلى أبي عبد الله ويقولون: يصنع كذا ويحذرونه منه، فسكت الشيخ، فلم يرد عليهم بشيء، حتى وقت انصرفهم، فاجتمعوا ليتواعدوا.

فقال أبو عبد الله، أرني رمحك، يا عبد الله، فأخذه عبد الله من تحت جعبته، فتوجه به نحو الشيخ، فكشف غلافه، فاذا هو كشعلة النار، فأخذه الشيخ، فجر أصابعه على حذاه، فقال: حذدت رمحك، نعيما، يا عبد الله.

وكان يذكر عنه النجدة والشجاعة، فأخذ عنه أولئك الذين يسعون [إلى] حوائجهم^(ب).

(أ) كذا في (ب). وفي (أ): ذل.
(ب) كذا في (ب). وفي (ب): جوابهم.

(1) أبو عبد الله بن مزين بن عبد الله الوسياني، ترجم له الدرجيني مع الشيخ أبي محمد ماكسن بن الخير، وصنفهما ضمن علماء الطبقة العاشرة. راجع الطبقات (429/2 - 437).
(أ) كذا في (ب). وفي (أ): مادواء وتدي القلب.

فصل آخر

ذكر يعقوب بن أبي القاسم أنه وصل ذات مرة ورجلان، قال، فراجعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه، فقال أبو عبد الله، هل رأيت أبا يعقوب، يعني يونس بن سهلون؟

قال، فقلت لا. قال، أنظر الى هذا، يا مزين، سافر الى ورجلان، ولم يصل الى أبي يعقوب! فعظم علي ذلك.

قال أبو يعقوب، فرجعت الى ورجلان، ولم تكن لي حاجة غير رؤية أبي يعقوب، فرجعت الى أبي عبد الله، فأخبرته أخباره، وذلك بعدما أصيب أبو يعقوب في جارحة لسانه ومنع له الكلام.

وكان ذلك مسألة نزلت في وارجلان، فاجتمع عليها من ينظر اليه من أهل وارجلان - وكذلك يفعلون في ذلك الزمان فيما ينزل عليهم من النوازل - فاجتمعوا في المنبر الذي قدام ورجلان، فجرت عليهم المسألة، وهي امرأة ادعى تزوجها رجلا، فأثني كل منهما بيينة على أنها زوجته، فتردد المشائخ المسألة حتى انتهت الى أبي يعقوب، فأفتى فيها أنها حرمت على الأول والآخر، وعلى كل رجال الدنيا ورجال الآخرة الى أن تتوب فتحل لرجل الآخرة!

فقال رجل من بني يجرين، هاج الفحل فتفرق المحراث^(أ)، فأصيب في لسانه حتى لا يطبق الكلام من غير الشفتين.

كان من تلامذة أبي نوح، سعيد، رضي الله عنه، وكان كثير السياسة، ذكي العقل، أراد أن يأمر ابنه [و] أشفق عليه في ايقاع الغرض، فصار يشير له ويقول، لو أصبنا من يفعل لنا كذا وكذا، فيعرف ابنه ما أراد بقوله ذلك، فيمتثل أمره ويأتي به على حسبه، حتى قال فيهما من قال: الأب مثل أبي يعقوب، والابن مثل أيوب لكثرة شفقه هذا وسرعة طاعة هذا.

(أ) كذا في (أ). في (ب): القعدان.

وهذا مثل قول الرسول، صلى الله عليه وسلم، رحم الله والدنا أعان ولده على بره. وقيل شر الأبناء من دعاه (..). الى الافراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير الى العقوق.

وذكر الشيخ أبو صالح اليرساني أنه قال، يأتي على الناس زمان يود الرجل من يأكل طعامه، فلا يجده، ويود من يستشير في أمر دنياه فلا يجده ويود من يدفع اليه أمر النازلة اذا نزلت عليه في أمر دنياه فلا يجده ويود من يدفع اليه أمر النازلة اذا نزلت عليه في أمر آخرته، فلا يجده لقلّة الناس. فمن أدرك ذلك الزمن منكم، فليمسك ويلزم ما بلغه وما حفظه من دين الله ويعض عليه بالنواجذ وينشب الأظفار فيه لئلا تحول الحوادث بينه وبين ذلك.

وشبه هذا، ما ذكر عن ابن مسعود، رحمه الله، أنه قال، ما شبهت ما غير من الدنيا الا كثقب^(أ) ذهب صفوه وبقي كدره. انكم لن تزالوا بخير، ما اذا أحس أحد منكم شيئا وجد من هو خير منه فمشى اليه فشفاه منه. فوالله ليوشك أن يلتبس ذلك فلا يوجد.

وذكر محبوب بن أبي عبد الله السدراتي أنه سأل الشيخ أبا عمران موسى بن زكرياء حين قدموا عليه في شأن بنيان المسجد على من كانت داره خلف المسجد القديم، كيف يصنع اذا حانت الصلاة عليه وهو في داره، هل يجاوز المسجد القديم الى المسجد الحديث، وفيه الجماعة؟

قال له أبو عمران، عليك بالمسلمين، عليك بالمسلمين، فانهم أفضل.

وهذا شبيه بما روى عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. كان يطوف بالكعبة ويقبلها ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، وحرمة المسلمين عند الله أعظم.

وقال محبوب بن أبي عبد الله السدراتي: المداهن أمر وشريك مسهل للخطيئة. وقال أيضا: البدعة أشرف من الزنى والسرقة وشرب الخمر، لأن هذه ذنوب يستغفر منها العبد ربه ويتوب اليه، وصاحب البدعة قلما يتوب.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): الاكتف والعبارة غير واضحة على كل حال.

وفي سنة ستين وأربعمائة (460) من التاريخ سرنا من ورجلان متوجهين الى طرابلس ودخلت احدي وستون في تاملست. وفي تلك السنة، توفي خليفة بن تازوراغت وفيها كان الربيع الذي يسمّى الجيل.

وفي سنة اثنين وستين توفي داود بن يوسف، رحمه الله، وبلغ خبر وفاته المشائخ، وهم اذ ذاك في زنفه⁽¹⁾، عند انحدار الشيخ أبي الربيع من زنزفة الى منزله بتمولست، فشيعة الشيوخ الى غار قلعة بني علي، وفيهم علي بن منصور وابراهيم بن يوسف وغيرهم من المشائخ، ليتوادعوا، فكروها مفارقة أبي الربيع الا وقت غدوا على الشيخ أبي سليمان، فتكلموا فيما بينهم وطلبوا من يخبره منهم، فدنا أبو اسحاق، ابراهيم بن يوسف⁽¹⁾ والشيخ يومئذ راكب على فرس لرجل من زنزفة، فقال له، أحسن الله عزاءك وأجرك على وفاة الشيخ، فقال أبو الربيع، ومن؟

قال، أبو سليمان داود بن يوسف. فلما سمع منه ذلك التوى على السرج، وقال، انا لله وانا اليه راجعون.

فلما انقضت المواعدة بينهم والتعازي، رجعوا عنه وانصرفنا الي تمولست، فأخذ يحدثنا أخبار الأولين وأحاديثهم وسيرهم ومناقبهم وما حل بالناس من ذهاب الخير وانفراط العلم، حتى قال: انقطعت آثار من المغرب.

فذكر حديثا لرجلين كانا توجهنا من المشرق يريدان زيارة بكر بن حماد

الشيخي⁽¹⁾ فلما وصلا الى مصر، سمعا بوفاته، فقال أحدهما للآخر: انقطعت آثارنا من المغرب، فرجع من موضعه ذاك. وأما صاحبه فقال، أنا لا أرجع حتى أتى أولاده، فتمادى به المسير حتى انتهى الى تاهرت، فسأل عن خلف بن بكر بن حماد، فقيل له خلف ولد ليس من يستحق السؤال عنه، فأبى الا رؤيته، فوجده ينوح مع النائحات بين النساء. فقال انا لله وانا اليه راجعون، مصيبة الأخيار في أولادهم، فارسلوها مثلاً، فمضينا في وجهتنا تلك.

وذكر اندراس الاسلام وفقد العلماء وانطماس الآثار، حتى قال، فقد الناس من مسائل الحلال والحرام والفقه أكثر مما فقدوا من مسائل الأصول والكلام والحجج.

قال ولم يسمح بمن يطلب اليه علم الفقه الا أن يكون شيئاً في تلامذة هذا الشيخ، يعني أبا سليمان بن داود بن يوسف في ورجلان. هذا ما قاله في زمانه، فكيف نحن اليوم، ولم يعلم اليوم أحد من أولئك الذين ذكروا في الحياة، بل ماتوا بأجمعهم. نسأل الله العصمة!

قال أبو الربيع، قال وارسفلاس بن مهدي في رجل أسره العدو، فساقوا معه مشية الحرام، فأجبروه على أن يسوق معهم انه لا يلزمه الضمان، لأنه مجلوب مع ما جلب.

قال أبو الربيع، حكيت لأبي عبد الله مسألة وجدتها في الكتاب، وهي جواز شهادة العبيد في الولاية. فقال، فقال انزعها من كيسك، حتى نسأل عنها. فقلت وقد سألت عنها.

(1) بكر بن حماد بن سهل الزناني التيهري، أبو عبد الله. ولد بتيهرت ورحل الى البصرة في سنة 217 هـ ثم عاد الى المغرب وأقام بالقيروان، قبل أن يرجع الى وطنه الأصلي حيث توفي في سنة 296 هـ. (ولد في سنة 200 هـ). وصفه سليمان الباروني بأنه "العلامة" (وهو عالم بالحديث ورجاله، الى جانب كونه شاعراً) الأديب صاحب النظم العجيب، والانشاء الغريب، المشهور في الشرق والغرب، بين أرباب العلم والأدب، بكر بن حماد بن سهل. وتحدث عنه أبو عبيد البكري، فقال انه كان ثقة، مأموناً، حافظاً للحديث، سمع بالمشرق من ابن مشدد وعمر بن مرزوق. يقول عنه أبو الربيع الوسياني انه كان شيعياً، ولكن سليمان الباروني ذكر أنه "اباضي أو صفري على الغالب" وهذا يدل على أن هذا العالم الجليل لم يطلع على سير أبي الربيع الوسياني، والا لما أهمل هذه الملاحظة الصريحة. راجع أزهار الرياض (70/2 - 75) البكري (ص 67) طبقات الدرجيني (43/2) البيان (153/1) معالم الايمان (193/2) تاريخ الجزائر (31/2).

(أ) كذا في (ب). وفي (أ): زنزفة وكذلك. زنفه. (1) ترجم له الدرجيني في الطبقات مع أبيه، أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي وصفهما ضمن علماء الطبقة الحادية عشرة. ووصف الدرجيني أبا اسحاق ابراهيم بأنه "امام في علم الأدب، وتمسك من الحديث والأصول بسبب أقوى"، راجع الطبقات (419/2 - 495) وكذلك خصص له الشماخي فقرة في سيره، وقال عنه "انه شيخ تقي وامام زكي". راجع السير (ص 496 - 497).

قال نعم، سألت عنها وارسفلاس بن مهدي⁽¹⁾ رحمه الله، فحكى فيها من مصحف التفسير جواز شهادتهم فيما لم يكن فيه ضمان الأنفس والأموال.

وذكر عنه أيضا فيمن دعا على المسلم أو ودّ له ما يصيبه في دنياه من المصائب والرزايا والنكبات أنه يهلك.

قال أبو الربيع، سألت الشيخ أبا عبد الله عن لحم الذئب، هل يؤكل؟ قال: انظر إن لم يكن خيرا من أكباش هذا الزمان!

قال أبو الربيع، كان الشيخ أبو عبد الله، إذا قرن العزابة بين الصلاتين، لا يقرن معهم: فلما رأيناه كذلك، كنا نترك بعض العزابة تجمع معه الصلاة.

وذكر يوسف بن موسى⁽²⁾ الدرجيني أن عبد الله المديوني قال إنما مثل الصلاة التي لم يقرنها الرجل، كمثّل شاة ذبحت خارج البيت، فلا تكاد تصل البيت الا وهي محذوفة الأطراف.

وذكر أن رجلا ادعى دينا على أبيه فاستمسك به الى المشائخ، وذلك في أجلو، وكان في المشائخ أبو زكرياء يحيى بن يحيى ويحمان بن محمد الهواري⁽³⁾، وغيره من أهل أجلو، فأجبروا الأب فجعلوه في الحطة، فسمع بذلك الشيخ ماكسن بن الخير فقدم من تين وال يهيم، فقال، علام يحبس الأب على مال الابن؟

فقال له أبو زكرياء يحيى بن ويحمان، قد حكم بذلك أبو عبد الله محمد بن

(1) ترجم له الشماخي مع سميّه وارسفلاس بن عبد الله، فقال إن كليهما "علامة في العلم والنقي". أما (وارسفلاس) بن مهدي فإمام ابن إمام، لأن أبيه كان من كبار العلماء "السير" (ص 327)، وذكره الدرجيني باسم وارسفلاس، أبو محمد، بن مهدي، وقال عنه انه "كان عالما كبيرا". راجع الطبقات (185/1).

(2) أنظر طبقات الدرجيني (470/2).

(أ) كذا في (ب). وفي (أ): الهداري.

(3) ترجم له الدرجيني باسم أبو زكرياء يحيى بن ويحمان وصنفه ضمن علماء الطبقة التاسعة، ووصفه بـ "الورع، الزكي، الفطن الذكي، الدين النقي". راجع الطبقات (415/2 - 417). وأما الشماخي، فقد ترجم له في السير باسم أبو زكرياء يحيى بن وجمين الهواري، وقال عنه بأنه "غائص في بحر العلوم، كاشفا للغطاء عن مشكلها" راجع السير (ص 405).

بكر في وغلانة، وحكم به هنا في أجلو، فلا يخرج من تلك الخطة حتى يؤدي ما عليه.

فصل آخر

وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، رجعنا من عند الشيخ ابن الربيع فشيّعنا الى المصلى الذي يهبط منه الى عيون تونس، فوقفنا لموادعة الشيخ، فقال له رجل منا، أوصنا، يا شيخ، فقال، عزمت على ذلك قبل أن تقوله.

فقال، امضوا بسلام، فإذا وصلت منازلكم ان شاء الله، فايكم والدنيا أن تستقبلوها بوجوهكم. فان من استقبلها أغرته، ومن استدبرها، فلا بد لها أن تأخذ منه. وعليكم بالنصيحة والألفة والتزاور فيما بينكم، واحرصوا [على] مجالس الذكر، واياكم وأموال الناس، ولا تقصروا فيمن يرد عليكم من أهل دعوتكم، والسلام.

وقد كان ابراهيم بن الشيخ ماكسن يريد الشخص معنا، وكان أبو الربيع استلف منه شعيرا قبل ذلك، والله أعلم كم فيها من الكروات، وقد استقبلته غلة الزرع حينئذ، ولم يكن عند الشيخ شعير يفضيه اليه، ولم يحب أيضا أن يتركها حتى يحصد الزرع ويرخص الشعير، فنظر الى سعر الشعير في ذلك الوقت، فقوّم ما عليه من الشعير، ثم أمر عبد الرحمن، ولده أن يقضي لصاحب الشعير، فقضا له، فأمره أن يشتري منه بقيمة الشعير بالدنانير حينئذ.

وقد أردنا أيام كنا عند الشيخ قبل ذلك بتمولست، ونحن جماعة، الطلوع الى جبل دمر لدراسة الكتب، ولم يعجب ذلك الشيخ أبا الربيع، ولا أبا زكرياء يحيى بن أبي بكر، فمضينا على ذلك، فشيّعنا أبو زكرياء يحيى، فقال، اعلّموا أن سوء الرأي إنما يخرج منه من دخله بالرجوع على اثره، لا بالتمادي فيه.

وأخبرني من أثق به أن الشيخ قال، حين طلّعنا اليه تلك المرة لنوادعه: ان مضيتم الى أهلكم على هذه الحالة، فأنتم كمن ترك الاسلام عمدا. وهذا منه

حَثَّ وتحريض وتغيب لمن يتعلم.

وكان أبو يحيى بن أبي بكر، رضي الله عنه كثيرا ما يوصينا، ويقول: إياكم وقبول صنائع الناس وهداياهم وجميلهم، فانه قيل: كن عبد الله ولا تكن عبد الناس، وأنشد في هذا المعنى:

ولست وان قُربت يوما ببائع * لديني وأخلاقي رجاء التقرب
ويعتاده قوم لقوم تجارة * ويمعني من ذاك ديني ومنصبي.

وكما قيل: اترك الطمع يتركك الفقر، واحمل نفسك على مالك يحملك، وارض بالقليل من الرزق يرضى الله عنك باليسير من العمل.

ولما انحدرنا من طرابلس الى بلادنا، جزنا ناحية أريغ، فسلطنا من وغلانه، حتى وصلنا الشيخ فلفول بن يحيى، ففتنا عنده وأحسن القيام علينا، ولم يقصّر وكان يقول: فرسنا صغيرة⁽¹⁾ ودراهمنا قليلة، ويتمثل ببيتين من شعر علي بن أبي طالب:

أرى نفسي تتوق الى المعالي * ويقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسي تساعدني ببخل * ولا مالي يبلغني آمالي
فصار يحدثنا في تلك الليلة بغرائب الأحاديث، حتى كاد الفجر يبزغ.
وفيما ذكر لنا كلمة من الحكمة من قول الراجز:

إذا رأيت صلعا في الهامة * وحدبا بعد انتصاب القامة
وصار شعر الرأس كالثعلمة * فإيس من الصحة والسلامة
وعد الى التوبة والندامة * فقد عليك قامت القيامة

وقال لنا، لما مات أبو عبد الله بن بكر، رضي الله عنه، قلت للمشائخ، اقتفوا بنا آثاره، مادامت جديدة غير مندرسة، فقالوا، المهل والسياسة، حتى عفا الأثر ودرست السير.

(أ) كذا في (ب). وفي (أ): فرسنا مهرة.

وذكر أيضا مسألة اختلف فيها أبو عبد الله محمد بن بكر رضي الله عنه، وأبو يعقوب يوسف بن سهلون، وهي: رجل يقول لمن يتولاه بما ظهر عنه من الأعمال الصالحات، هو مسلم عندي ومسلم عند الله عندي⁽¹⁾.

قال أبو عبد الله انما يجوز أن يقول مسلم عندي عند الله، وأما مسلم عند الله عندي، فلا يجوز.

قال أبو يعقوب، كلاهما جائز، سواء قدم أو آخر، لا فرق بينهما، لأنك انما قلت، عند الله عندي، والمعنى: يعلم الله أنه عندي كذلك.

فلما شخصنا من عنده شيعنا حتى قال له بعض منا، ارجع. فقال: آه، فوقف. ليس كذلك يقال. انما يقال أنظر في الرجوع.

وحكي أن أبا زكرياء فصيل بن أبي مسور، رحمه الله شيع رجلا حتى قال له، ارجع، فما دفع بعدها خطوة. ويقال، يكتب الأجر للمشيح ما لم يقل له، ارجع. وكان الشيخ فلفول ذا اجتهاد في الأمر والنهي والذب عن دين الله تعالى.

وروى عنه حين احتضر [أنه كان] يتمثل بشطر بيت من شعر عمران بن حطان^(ب)⁽¹⁾ رضي الله عنه:

(أ) وقع النسخ في اضطراب عند نقله هذه الجملة في (ب).

(ب) كذا في (ب). وفي (أ): من شعر ابن الخطاب.

(1) عمران بن حطان بن ضبيان السدوسي الشيباني الواتلي، أبو سماك، أحد زعماء الاباضية وخطيبهم وشاعرهم. أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم الحديث، ثم لحق بالخوارج، فطلبه الحجاج فهرب الى الشام، حيث طلبه عبد الملك بن مروان فهرب الى عمان، حيث لجأ الى قوم من الأزد ومات هناك في سنة 34 هـ. وقد روى عنه أصحابه كثيرا من الأحاديث. راجع طبقات ابن سعد (4/7) صفوة الصفوة (283/2) تذكرة الحفاظ (23/1). وأنظر ترجمة وافية له في طبقات الدرجيني (226/2 - 232). وقد وصفه هذا المؤرخ بأنه "هو النهاية في الورع والصلاح، واطراح الدنيا كل الاطراح، لما خصه الله عز وجل من فنون العلم والتزاهة والحلم وشهامة الجنان". وقد روى الدرجيني لعمران بن حطان عدة مقطوعات من شعره، منها هذه الأبيات التي قالها في رثاء أبي بلال (راجع الهامش... أعلاه):

لقد زاد الحياة التي بغضا * وحبا للخروج أبو بلال

أحاذر أن أموت على فراشي * وأرجو الموت تحت ذرى العوالي

فمن يك همه الدنيا فأنسي * لها والله رب العرش قالي

حتى متى لا أرى عدلا أسر به * ولا أرى لدعاة الخير أعوانا

فقد فهم القسم الأخير وذكره وعجز عن الأول، وطفق يسأل من حوله عن القسم الأول من هذا البيت، وكان ذلك من آخر كلامه رحمه الله.

وفي تلك السنة، احدى وسبعين وأربعمائة، ورد موت الشيخ أبي الربيع (سليمان بن يخلف) رحمه الله⁽¹⁾، ونحن، إذ ذاك، في تين وال عند الشيخين، ماكسن ومزين، فاجتمع من في ذلك الوادي ممن ينظر اليهم إلى هذين الشيخين يعزي بعضهم بعضا، وفيهم يقول أبو يعقوب بن أبي عبد الله محمد بن بكر، رضي الله عنه : فوقف علينا أنا وابن أخيه، يحيى بن محمد، وكنا، كما شاء الله، متحيرين وأعيننا تنهمر بالدموع، فقال : اطرحوا⁽²⁾ هذا عن أنفسكم، فانه قليل الغنى عنكم، وعليكم بالحفظ والتمسك بما سمعتم وحفظتم عن ذلك الشيخ، فانه قد أخذ عن شيخنا وحفظ آثاره، واذكروا ما حفظتم عنه (متمثلين بقوله) حين قال :

(خرج) صبي لبراهيم بن أبي إبراهيم⁽²⁾ وكان قد دفع له دينارا ليوصيه إلى رجل آخر، فقال له إبراهيم : أياك أن يقع لك ! فقال الصبي : تقع هاتان، يعني عينيه، ولا يقع هو يا عماء !

(1) ترجم أبو زكرياء في سيره لمعاصره أبي الربيع سليمان بن يخلف ترجمة تفيض بالتقدير والاعتبار. وقد خصص الفصل الأخير من السير (ورقة 175 - 179) من المخطوطة الأصلية. والجدير بالإشارة أن أبا زكرياء قد ذكر وفاة أبي الربيع بن يخلف ولكنه لم يذكر السنة التي توفي بها. وما ذكره أبو الربيع الوسياني من أن أبا الربيع بن يخلف قد توفي في سنة 471 هـ. يدل على أنه توفي قبل أبي زكرياء نفسه بأشهر معدودة، حيث أن هذا العالم الجليل توفي هو الآخر في نفس السنة. وأما فضل أبي الربيع سليمان بن يخلف على كتاب السير ورجال المذهب بصفة عامة فهو عظيم ويفوق الوصف، إذ يكفي أن معظم الروايات التي وصلت إلينا في هذا الموضوع، عن طريق أبي زكرياء وأبي الربيع سليمان الوسياني وأبي العباس الدرجيني والشماعخي، إنما نقلت عنه. وقد ترجم له الدرجيني في الطبقات وصنفه ضمن علماء الطبقة العاشرة، ووصفه بأنه "الأصولي الفقيه الزكي النبيه... وخرج من تلامذته كل نجيب، وقيد عنده كل مصيب". وأكثر ما ذكره الدرجيني عن أبي الربيع بن يخلف منقول عن أبي زكرياء. راجع الطبقات 191/1 - 195 و 425/2 - 429. وكذلك خصص الشماعخي مكانا بارزا في سيره للترجمة لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي. راجع السير (ص 412 وما يليها).

(أ) كذا في (ب). وفي (أ) : احرصوا.

(2) أنظر أخباره في طبقات الدرجيني 413/2 و 428 و 439.

وذكر أبو الربيع، سليمان بن موسى⁽¹⁾ أن أهل ورجلان، إذا مات من ينظر إليه في ورجلان، لا يعجلون بدفنه حتى يبعثوا إلى تين بامطوس، وإذا مات (من ينظر إليه) في تين بامطوس كذا.

قال، فمات رجل من أهل تين يسلي⁽¹⁾ يسمى صالح الصادق، فبعثوا إلى أهل تين بامطوس. قال من حضر لذلك فوصلنا فوجدنا الدار التي فيها الجنازة محشوة ومشحونة بالناس، فقعدنا على باب الدار، فجاء النعش، فإذا بباب الدار قصير ضيق، فدخل النعش على جانبه، فلما خرجوا بالجنازة، اختلف من كان داخل الدار ومن كان خارجها.

فقال بعضهم انه خرجت الجنازة من فوق العتبة، وقال آخرون، بل انفتح الباب وانشرح ووسع، فخرجت الجنازة منه، والحمد لله رب العالمين.

ذكر أبو يعقوب يوسف بن اسماعيل بن محمد التناوتي رضي الله عنهم، أن خاله، يوسف بن إبراهيم بن الطاوي^(ب) حضر دفن ابنه اسماعيل وكان ممن تولى وضعه في لحده. قال يوسف، لما سدنا لحده، أدخلت يدي في اللحد لأرد عنه ما يلحقه من المضرة، فلم تلحقه يدي، فمددتها جهدي، ولم أدركه، والحمد لله رب العالمين.

لكن أبو يعقوب، يوسف بن أبي عبد الله⁽²⁾ قد انتقل إلى ورجلان في آخر عمره، وبها توفي في تماوط، وكان يقول، لم يعجبني ما رأيت من أهل هذا الزمن، وليس على هذه السيرة أدركنا أوائلنا. وإذا لم تكن النجاة إلا في مثل ما أدركنا عليه أوائلنا، فلا أرى أهل هذا الزمان ينجو منهم إلا من شاء الله، إن

(1) هو أبو الربيع سليمان الزلفيني ترجم له الدرجيني في الطبقات، ضمن علماء الطبقة العاشرة ووصفه بأنه "ذو الدعوات المستجابة، المحافظ على الأمور الدينية والدنيوية". راجع الطبقات 440/2 - 442. وهذا الوصف نقله عنه الشماعخي مع كثير من معلومات الدرجيني، كعادته، في السير (ص 420 - 421).

(أ) كذا في (ب). وفي (أ) : تين بامطوس.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : الطار.

(2) وهو غير أبي يعقوب يوسف بن محمد صاحب التقييد الذي تضمن أشعار الأشياخ بالبربرية (وهو وسياني). وأما أبو يعقوب يوسف هذا، فهو ابن أبي عبد الله محمد بن بكر الذي تقدم الحديث عنه أعلاه. ترجم له الدرجيني مع أخيه، أبي العباس أحمد، ضمن علماء الطبقة العاشرة. راجع الطبقات 442/2 - 446. أنظر ترجمته أيضا في سير الشماعخي (ص 498).

لم يصيبوا في قول عجوز من الماضين المسلمين، من الأطعمة الطيبة، من العسل الى الكلال. وأما الحنظل، فليس هناك.

وذكر أبو يعقوب يوسف بن أبي عبد الله أن أبا محمد عبد الله بن زورزن، قال : اكسب يا أخي ما شئت، فلا أرى عليك الحرج لانقطاع السبيل وكثرة جور هذا الزمان.

وشبيه بهذا، ما ذكره أحمد بن افلح، وقد كنت سألته عن وصية الميت بالحج، هل للخليفة أن يبعثها في هذا الزمان، فقال، من بعثها حيث انقطع الطريق وتعددت السبل، فهو ضامن لها. ولكن يتصدق بها على الفقراء والمساكين.

ذكر قصة جغراف⁽¹⁾ وما انتهى الينا من أخبارها

وقد ذكر أنه وجد في كتاب : لا يبقى مسلم في آخر الزمان الا في جغراف. وجغراف، فيما ذكر، موضع (...)⁽¹⁾ ذو مياه كثيرة.

وذكر يعقوب بن أبي القاسم⁽²⁾ رحمهما الله أن أبا جدرون الرشيت رحمه الله، نزل قدام أسوف، فورد عليه رجل من أسوف ووجده قاعدا في فيء شجرة تسمى الزان^(ب)، فسأله أبو جدرون عما حدث، فأخبره أن بني درجين قد خرجوا من قنطراره الى أسوف، فاسترجع عند ذلك، فقال : خشيت أن تكون رواية الماضين قد قريت.

قال الرجل، كيف يا شيخ ؟ فقال يونس، ما تلي^(ج) عن أبي صالح اليرساني : فاذا انتقل بنو درجين من قنطرارة الى أسوف، انتقل أهل أسوف الى أريغ، وانتقل أهل أريغ الى ورجلان. فاذا اجتمعوا في ورجلان، ارتحلوا الى جغراف.

(1) توجد الآن قرية صغيرة تحمل هذا الاسم، وهي تقع غير بعيد من ورقلة.

(أ) كلمة غير مقروءة في كلتا المخطوطتين. في (أ) : منى حمر للرمل. وفي (ب) : مناحض الرمل.

(2) أنظر أخباره في طبقات الدرجيني (381/2 و 382 و 422).

(ب) الزاس في (ب). ولزال في (أ).

(ج) في (ب) : ما بال. وفي (أ) : مائل.

وذكر أبو جدرون، قال، لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع بنو يجرين بأسرهم بتين باماطور، وفي موضع آخر يقال لع اقليم ورجلان.

وذكر نوح بن أبي نافي، رحمه الله أن ذلك بعد قدوم أهل وافو وارجلان.

ذكر أبو الربيع، سليمان بن موسى بن مغراوة^(أ) حشد بني يلشن^(ب) سنة حاصروا فيها أنجاسا^(ج). فلما يشوا منها حشدوا الى انجاز^(؟).

قال أبو الربيع، سليمان بن موسى، رحمه الله، لما اصطلحوا، اجتمعت علينا جموع كثيرة من بني مغراوة، وقال متكلمهم، وهو زيري بن لقمان الخارجي، ما أرى جغراف الذي يذكره المسلمون الا أريغ بعينه، لما انفجر فيه من المياه.

قال أبو الربيع، سليمان بن عيسى، وقلت أين (...). من رواية كباب، وهو رجل من بني يا جرین.

قال فقالوا ما هي ؟

فقلت ذكر لي أن كبابا يدعي علم الحساب، فنزل ذات مرة من أسوف الى بني ينجاسن، فقالوا له : احسب لنا. فقال، انتظروني الى طلوع الشمس، غدا.

فلما كان من الغد، اجتمعوا عليه، فقال لهم، ان كان الأمر كما يقول هذا الحساب، فان ما حصل من بني مغراوة في طرابلس، مصيره الى أريغ.

ثم نظر ثانية، فقال ان صدق هذا الحساب أيضا، فانه أعظم وأجل، قالوا ما هو ؟

(أ) كذا في (ب). وفي (أ) : بني نفاوه.

(ب) كذا في (أ). وفي (ب) : يكشن.

(ج) كذا في (أ). وفي (ب) : ينجوسا.

قال ما كان في سجلماسة⁽¹⁾ من مغراوة، فان مصيره الى أريغ، وذلك في زمان مسعود بن واندنين.

ثم نظر ثالثة، وقال : هذا أكبر، فقالوا، ما هو ؟

قال مصير هذا كله الى جغراف.

قال أبو الربيع، لما ذكرت هذا الحديث، تذكر زيري بن لقمان رواية لكباب، وكان جارا له في أسوف.

قال، قال لنا كباب في زمان المعز بن باديس⁽²⁾ وقد اشتغل في بناء مدينة صبرة⁽³⁾ ألا ترون أن هذه المدينة، لا تذهب الأيام والليالي حتى تعوي فيها الذئاب، ضحوة نهار !

(1) فيما يتعلق بتحديد موقع سجلماسة التي أنشئت في سنة 140 هـ.، وكانت حاضرة بني مدرار، وبالتعرف عليها في القرن الماضي في مدينة تافيلالت الحالية، راجع تعليقنا على كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي (هامش 124 ص 242) والمراجع التي أحيل إليها هناك. ويمكن الاطلاع على مجمل وصف الجغرافيين العرب في مختلف العصور لمدينة سجلماسة، في كتابنا، المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي، وفيه قائمة وافية بالمراجع العربية والأجنبية.

(2) من ملوك بني زيري في إفريقية. ولد بالمنصورية في سنة 398 هـ.، وولي الملك بعد وفاة أبيه، باديس، في سنة 406 هـ.، وأقره الحاكم الفاطمي خليفة مصر وخلع عليه لقب "شرف الدولة". وجه عنايته للبناء والتشييد قد استتب الأمن في بلده وانتظمت له الأمور حتى قرر إعادة مذهب أهل السنة الذي كان يميل إليه منذ سخره، وقطع دعوة الفاطميين وجعلها لبني العباس. وعندئذ قرر المستنصر الفاطمي الانتقام منه، فسرح على إفريقية عرب بني هلال وبني سليم الذين حملوا معهم الخراب والدمار للحضارة التي بناها بنو زيري خلال أجيال متوالية. وبعد حروب ومقاومة شديدة هزمت جيوش المعز واستباح العربان القيروان وغيرها من الحواضر وانسحب هو الى المهديّة التي اعتمص بموقعها المنيع وظل بها حتى مات من داء الكبد في سنة 454 هـ. راجع وفيات الأعيان (233/5 - 335) الكامل (87/9 و 5/10) البيان (267/1) أعمال الاعلام (ص 29) العبر (158/6) رحلة التجاني (الفهرست). أنظر كذلك كتابنا، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، وفيه قائمة وافية بالمراجع.

(3) مدينة متصلة بالقيروان، بناها يوسف زيري بن مناد في عهد المنصور العبيدي، في سنة 337 هـ.، واستوطنها الخليفة، وسماها المنصورية. ولما تولى المعز الفاطمي الحكم، نقل إليها أسواق القيروان كلها وجميع الصناعات. وقد كان لها خمسة أبواب. ويذكر البكري أنه كان دخل واحد من أبوابها في اليوم ستة وعشرون ألف درهم. وصبرة/المنصورية هي التي ذكرها ابن رشيق حين يقول :

بنفسى من سكان صبرة واحد * هو الناس والباقيون بعد فضول

وصبره الآن خراب بباب وتجري فيها حاليا أعمال الحفر والتنقيب عما بقي من آثارها. راجع الادريسي (ص 177، 185) البكري (ص 26 - 47) معجم البلدان (291/3 - 292) رحلة التجاني (ص 328 - 329).

وقال زيري بن لقمان، فمكثنا بعد ذلك زمانا، فسمعنا بقدم المنصور⁽¹⁾ بمدينة القيروان⁽²⁾ فقدمنا في زيارته في جماعة [من] مغراوة.

فلما كنا بازاء صبرة، قعدنا فسمعنا ذئابا تعوي فيها ضحوة نهار، فتذكرنا حديث كباب حينئذ فتعجبنا منه وصدق حديثه في حسابه.

وذكر عبد السلام بن عمران اليكشي، رحمه الله عن مشائخ بني يكتشن، قال كلما ذكرنا مولى، وهو رجل يدعي علم الحساب، وقفنا على صحة جميع ما قال، وذكر لنا في حسابه ما يحدثنا به من الارتحال الى جغراف وأن الأرض تكون لمغراوة.

وفي سنة أربع وسبعين [وأربعمائة]، جاء أبو دوناس بعسكر يسمى بعسكر أبي الذئب، فانتقلت الى ورجلان، فقعدت ذات يوم قدام مسجد تماوط عند أبي اسحاق بن اسحاق بن رجاء⁽³⁾.

قال، كان أبي كثيرا (ما) يحرضنا ويوصينا ألا يبرح من دارنا جمل ولا تخلو أدينا من ثمن آخر، فقال، فان فقدتموه، فانظروا الى خيار دمتكم، فبيعوها وامسكوا ثمنها، فان أمر جغراف يذكره المسلمون، حتى ينقطع ذكره، فعند ذلك يأتي بظنة، وعلامة ذلك، اذا تحركت الأرض بالعساكر ومرج أمر المسلمين.

قال أبو الربيع، وكان الشيخ أبو عبد الله كثيرا ما يذكر أمر جغراف ويبحث عنه ويبعث من يتجسس وراءه، لأن الرواية صحيحة عند المسلمين في جغراف، وأن بقية المسلمين في آخر الزمان في جغراف.

(1) هو اسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي، المنصور بنصر الله، ثالث الخلفاء الفاطميين. تولى الخلافة بعد وفاة أبيه أثناء حرب أبي يزيد، صاحب الحمار، في سنة 334 هـ.، ولكنه لم يبايع رسميا الا في سنة 336 هـ.، وهو الذي تمت على يده بمساعدة بني زيري، هزيمة أبي يزيد الخارجي. وفي عهد المنصور بنيت مدينة المنصورية، كما وردت الإشارة الى ذلك في الهامش السابق، والمدينة تحمل اسمه وفيها توفي في سنة 341 هـ. راجع سيرته في وفيات الأعيان (234/1 - 236) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص 278 - 279) العبر (43/4) الكامل (150/8 و 164) البيان (218/1) أعمال الاعلام (ص 22 - 23) طبقات الدرجيني (102/1 و 104).

(2) راجع وصف الجغرافيين العرب في مختلف العصور لمدينة القيروان، كتابنا، المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي.

(3) هو أبو اسحاق إبراهيم بن اسحاق بن إبراهيم بن رجاء. ترجم له الشماخي في السير ونقل هذه القصة عن أبي الربيع. راجع السير (ص 502 - 503).

قال أبو الربيع، فعمد أبو عبد الله ذات سنة الى المسير الى جغراف، بضيعته ومن خف معه من المسلمين من أصحابه، وفيهم رجل من مديونه، يسمّى يونس بن أبي منصور، فوصلوا حيث شاء الله في ناحية القبلة، فتذكر مشائخ ورجلان أمره (وعزموا) على اللحاق به ليردوه عن وجهته تلك. قال، فלحقوا به في موضع يسمّى أزلج^(أ) وقد كان ومن معه ينزلون على أبيار يحفرونها ويستقون منها، فلا يكاد يستقيم لهم حفرها لضعفها وانهدامها، فرأت امرأة يونس، وهي ابنة الشيخ أبي القاسم يونس بن ويزجن الوليلي، رؤيا أنها قيل لها في منامها، أن قللي لهذا الشيخ يرجع لثلاث يافارق. قال، وتكرر عليها ذلك ثلاث ليالي، فوافق ذلك وصول المشائخ الذين لحقوهم من ورجلان، فطلبوه الى الرجوع، فرجع من وجهته تلك. قال أبو الربيع، قال لعلهم يحسبون (أنهم) هم الذين ردوني، ولكن هذه المرأة التي رأت الرؤيا آمنة عندي، ومن أجلها رجعت.

قال أبو الربيع، لما عزم أبو عبد الله على المسير الى جغراف، توجهنا الى أهالينا لننزع تبعاتنا، فنلحقه، فجزنا على ورسفلاس بن مهدي، فأخبرناه، فقال: ما لمحمد و (لم) هذا المسير؟ يقولون، لا يبيت المسلمون الا ثلاث سنين، يعني في جغراف.

قال، ففحصنا تبعاتنا، ففقلنا راجعين، فوافقناه كما رجع. وكان سليمان بن موسى يذكر من الحديث أن بعض من يقدم جغراف يرجعون منه، وبعضهم يقيمون فيه.

وقال أيضا، عن الشيخ صالح تبركيت، انما بيننا وبينه مسيرة ستة عشر يوما، سير ضعيقة تحلب الغنم. واعلم أيّدك الله، انما يضطر الناس الى الخروج الى جغراف، لكثرة الزلازل، والنوازل، والبلابل، وشدة الأمور، فيهربون بدينهم وأنفسهم، لأنه ذكر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يأتي على الناس زمان لا يستقيم فيه لذي دين دينه حتى يفر من شاهر الى شاهر"^(ب) ومن حجر الى حجر كطائر بأفراخه وكثعلب بأشباهه.

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): ازلج.
(ب) هذه الجملة سقطت في (أ).

ويقال، من قرّ بدينه مقدار شبر وجبت له الجنة. وقال: بشر الفارّ بدينهم من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية.
وروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "بدأ هذا الدين غربا وسيعود غربا كما بدأ، فطوبى للغرباء في ذلك الزمن".
قيل، ومن الغرباء، يا رسول الله؟ قال: "الذين يصلحون أنفسهم عند فساد الناس".

ويقال ان معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدأ هذا الدين غربا وسيعود غربا كما بدأ أن الناس كانوا أهل أديان مختلفة، "فلما بعثه الله، صلى الله عليه وسلم". كان من أسلم من أهل تلك الأديان غربا في دينه مستخفيا باسلامه، ذليلا، حقيرا، متحملا للأذى، صابرا على الجفاء، حتى أعز الله الاسلام وكثر أنصاره. وهذا معنى قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بدأ الدين غربا. وذلك معنى قوله أيضا، وسيعود غربا كما بدأ، لأن أهل الأهواء المضلة تكثر في آخر الزمان، فيضل فيها كثير من الناس، فالممسك يومئذ بما جاء به النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، الصابر على دينه عند كثرة الأهواء والآراء المختلفة المضلة، هو بينهم غريب.

قال الحسن البصري⁽¹⁾: المؤمن في الدنيا غريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزّها، للناس حال، وله حال.

وقال بعض العلماء، أغرب الناس في وقتنا هذا من أخذ بالسنن وصبر عنها واتباع آثار من سلف من الأئمة وعرف زمانه وشدة زهاده^(أ) واشتغل باصلاح شأنه وحصر جوارحه وترك الخوض فيما لا يعنيه^(ب) وكان طلبه من الدنيا الكفاية، وترك الفضل الذي يضيّعه^(ج)، فهذا غريب.

(1) امام أهل البصرة: أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري. كان من سادة التابعين وكبرائهم، وأحد الفقهاء الفصحاء الشجعان. وصفه ابن خلكان بأنه "جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة" ولد في سنة 21 هـ. وشب الحسن في كف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن أبي زياد، والي خراسان في عهد معاوية. كان الحسن البصري من أولئك العلماء الذين لا يخافون السلطان ويقولون كلمة دون تردد، ويلومون الولاة والحكام ويتنقدون ما يرونه ضلالا وباطلا بغير تحرج. توفي رضي الله عنه في سنة 110 هـ. راجع سيرته في وفيات الأعيان (69/2 - 73) ميزان الاعتدال (254/1) أمالي المرتضي (106/1).

(أ) كذا في (أ). وفي (ب): وشده رماده.
(ب) كذا في (ب). وفي (أ): وترك الحرص فيما لا ينفعه.
(ج) كذا في (أ). وفي (ب): وترك الفضل الذي يطغيه.

قال : وذكر عن أبي امامة بن عجلان الباهلي⁽¹⁾ أنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان لكل شيء اقبال وادبار ، وان من اقبال الدين ما بعثني الله به اليكم وأنقذكم به من الغي والضلالة⁽²⁾ ، والهلكة ، وان من اقبال الدين أن تتفقه القبيلة كلها بأسرها حتى لا يوجد فيها الا رجل حاف أو رجلا ، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على الحق أعوانا ولا أنصارا .

قال عليه السلام : " لا يزداد الأمر الا شدة ، ولا الدين^(ب) الا ادبارا ، ولا الناس الا شحاً ، ولا تقوم الساعة الا على شر الناس " .

ويقال ، لم يبق من الدنيا الا الشدائد ، فاستعدوا لها بالصبر . ويقال ، شر الأيام ، وشر الشهور ، وشر السنين ، أقربها الى الساعة ، فأعدوا لها الصبر .

ويقال سيأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة ، وهي خراب من الهدى ، وعلمائهم شر من تحت اديم السماء ، منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود .

ويقال ، سيأتي زمان تكره فيه الموعظة حتى يختفي فيه المؤمن بايمانه ، كما يختفي الفاجر بفجوره ، وحتى يعبر المؤمن بايمانه ، كما يعبر الفاجر بفجوره ، وليأتين على الناس زمان يكون فيه الموت أحب الى العلماء من الذهب الأحمر ، حتى يأتي الرجل الى قبر أخيه ، ويقول : يا ليتني مكانك ، لا لكثرة زاد قدمه ، ولا لرضى عن نفسه ، ولكن لكثرة الزلازل والنوازل .

قال أبو الربيع ، اذا فسد الناس وتغيرت الجوامع ، فمن صلى وحده كان له من الأجر كمن صلى مع الجماعة " وقيل يضاعف الله شأن من صلى مع الجماعة من الأجر " (ج) خمسا وعشرين ضعفا .

(1) صدق بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو امامة . صحابي شارك في وقعة صفين وأقام بالشام وتوفي في أرض حمص في سنة 81 هـ . وكان آخر صحابي توفي بالشام . رويت له في الصحيحين أحاديث كثيرة . راجع الاصابة (ت 4054) صفوة الصفوة (308/1) .

(أ) كذا في (أ) . وفي (ب) : الجهالة .

(ب) كذا في (ب) . وفي (أ) : الدنيا .

(ج) هذه الجملة سقطت في (أ) .

ويقال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصحة⁽¹⁾ وواحد في اعتزال الناس .

وقال أبو زكرياء يحيى بن جعفر : اذا ظهرت في الناس ثلاث خصال ، ان قدرت أن تموت ، فمت ، وان قدرت أن تبكي الدماء ، فابك : التحايل والتهاجر والمطامع .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، : " لا يكونن أحد منكم أمعة : أنا مع فلان ، أنا مع فلان ، ان أمن أمنت ، وان كفر كفرت " .

وقال أبو الربيع ، يذكر أن أول الأمة شرك ، وآخرها شرك .

وذكر أيضا أن القيامة لا تقوم الا على دين أبي جهل ، لعنه الله ، وما ذلك بجحود الله وانكاره ، ولا انكار محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن ذلك مما يلقيه الشيطان من الوسوسة في قلوبهم ، حتى يشبهوا الله بخلقه ويمثلوه برويته ، كما كان ذلك من طوائف المذاهب اليوم ، وان كان يقرون له بالسنتهم . فلذلك ينبغي أن لا يقصر في النظر في التوحيد والحجة ومعانيها لكي ينفي عن الله ما لا يوصف به من صفة خلقه وشبهه على ما هو به من صفة رجل .

وذكر أبو الربيع أن أبا عبد الله محمد بن بكر ، رضي الله عنه ، كان يحرض تلاميذه على الاجتهاد والعزم ويقول : انظروا في هذه المسائل ، يعني التوحيد والكلام والحجة ، لئلا تعبدوا غير الله ، وأنتم تصومون وتصلون .

وذكر أبو الربيع ، أن أبا عبد الله ، محمد بن مانوح ، رضي الله عنه ، قال : لا تقوم الساعة الا على قليلين . وقيل أيضا ، لا تقوم الساعة الا على مسلم لأنها عقوبة لاستئصال كفر هذا الزمن لقوله تعالى : " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر " . نعوذ بالله من تهوين ما قاله المسلمون ، ومن ذم ما يأتونه ومن تحسين القول وتبحيح الفعل ، ونسأله أن يصرف عنا ما لا خير فيه ، ونرغب اليه أن يعصمنا من الخطي والزلل ويمن علينا بالتوبة عن الحياة وتجاوز

(أ) كذا في (أ) . وفي (ب) : في الصمت .

مراجع التحقيق والتعليق

- الاباضية في الجريد، لصالح باجية، تونس 1976.
- الاحاطة في أخبار غرناطة، تأليف لسان الدين بن الخطيب، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، 1955.
- الأزهار الرياضية في أئمة الملوك الاباضية، لسليمان الباروني، المطبعة البارونية.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي محمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964.
- الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، لأحمد الناصري السلاوي، 4 أجزاء، 1312 هـ.
- الأنوار السنية في نسب من بسجلماسة من الأشراف، مخطوط محفوظ في الخزانة العامة بالرباط.
- الأنيس المطرب القرطاس، لابن أبي زرع، طبعة حجرية، فاس 1305 هـ.
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ليحيى بن خلدون، مجلدان، الجزائر 1903.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، 4 أجزاء، تحقيق ج. كولان وليفني بروفنسال، بيروت، 1948.
- تاريخ ابن الصغير عن تيهت الرستمية، تحقيق دوموتلينسكي، إعادة الطبع في Cahiers de Tunisie (T. XXIII, 1976).
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد بن ابراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي، طبع تونس 1289 هـ.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي، مصر، 1952.
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لسان الدين بن الخطيب (؟) طبع تونس، 1911.
- الحلة السيرة، لابن الأبار، جزأين، القاهرة 1963.
- الدرر السنية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية لادريس بن أحمد

العفو والغفران وأن يؤتينا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وبقينا عذاب النار. ونسأله خاتمة خير، والتوفيق منه في جميع الأمور، وأن يصلي ويسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وعلى جميع المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

”انتهى ما وجدناه نقلا عن نسخة كتبها عمنا الشيخ الحاج اسعيد بن بافو بيده في ذي الحجة 1278 هجرية وقد وقع الفراغ من نقلها في يوم الخميس 22 صفر الخير عام 1358 هجرية، يوافقه يوم 13 أبريل سنة 1939 ميلادية”.

انتهى

- العلوي، مجلدان، طبعة حجرية، 1314 هـ.
- ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق احسان عباس، بيروت 1950.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام، ثلاثة أجزاء 1358 - 1964 هـ.
- رحلة التجاني، تونس 1958.
- رسالة افتتاح الدعوة، للقاضي النعمان بن محمد، تحقيق وداد القاضي، بيروت، 1970.
- زهرة الأس في بناء مدينة فاس، لأبي الحسن الجزنائي، الجزائر، 1923.
- السير لأحمد بن سعيد الشماخي، في رجال الاباضية، طبعة حجرية، قسنطينة (?) .
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، 8 أجزاء، طبع القاهرة 1350.
- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، لأبي العباس القلقشندي، 4 أجزاء، القاهرة 1331 - 1338.
- طبقات الدرجيني، تحقيق ابراهيم طلاي، الجزائر، 1976.
- العبر وديوان المبتدئ والخبر، لعبد الرحمن بن خلدون، طبع بولاق 1284 هـ.
- الكامل في التاريخ، لعز الدين بن الأثير، تحقيق تورنبرج، اعادة الطبع، بيروت 1965.
- الكامل في اللغة، لابن العباس المبرد، جزآن، طبع مصر 1333 هـ.
- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مجهول، طبع الاسكندرية 1858.
- كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي، تحقيق اسماعيل العربي، طبع بيروت، 1970.
- كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، لأبي عبيد البكري (من كتاب المسالك والممالك) تحقيق دوسلان، باريس 1964 (طبعة ثانية).
- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، لابن أبي دينار، تحقيق محمد شمام، تونس 1967.
- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، لابن أبي دينار، تحقيق محمد شمام، تونس 1967.
- مختصر كتاب البلدان، لأبي بكر الهمداني، تحقيق دوخوية، ليدن 1885.

- المختصر في أخبار البشر، للملك الصالح، اسماعيل أبي الفدا، طبع بيروت، 4 أجزاء.
- مرصد الاطلاع، لصفي الدين بن عبد الحق، تحقيق محمد أبو النجار، القاهرة، 1954.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لعفيف الدين اليافعي، حيدرآباد 1339.
- المقتبس في أخبار الأندلس، لأبي مروان بن حيان القرطبي، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت 1965.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، 1955.

المجلات والدوريات

Revue des Etudes Islamiques -

دائرة المعارف الاسلامية

مجلة الثقافة (الجزائرية)

مجلة الأصالة (الجزائرية)

فهرست الاعلام

ا - ابن الاغلب 37

ابراهيم بن يوسف 74

ابراهيم بن ابي ابراهيم 80

ابراهيم بن ماكسن 77

ابراهيم بن ملال 63

احمد بن افلح 82

ابوبكر (ض) 53 - 54

ابوبكر الزواغي 27

ادرج 29

أريغ (وادي ريغ) 24 - 34 - 42 - 43 - 78 - 82 - 83

ازلج 86

اسماعيل بن ابي زكرياء 71

اسحاق بن اسحاق 85

اسعيد العطفي 5 - 90

أسوف (وادي سوف) 26 - 46 - 82 - 83 - 84

افران 43

افلح بن عبد الوهاب (الامام) 57

افريقية 27 - 37 - 46 - 47 - 57 - 60 - 66 - 67

اوكرانيا 8

امجاج 11

ب - بامطوس

بنت تونين 7

ام البيخت 14

بكر بن حماد 74

المراجع الأجنبية

- Basset (R), Etude sur la Zenatia du Mzab et de l'Oued Righ, Alger, 1982.
- De Beylie (Général), La Kalâa des Bani Hammad du 11^e siècle, Paris, 1908.
- Blachel, Recueil de la Soc. Arch. de Constantine 1898.
- Dureau de la Molle, Esquisse générale S. l'Af. Anc. Paris, 1852.
- Fournel (H), Les Berbères 2 vols., Paris, 1857.
- Gautier (F), le Passé de l'Afrique du Nord, Payot, 1952.
- Gzel (St.), Atlas Archéologique de l'Algérie, Paris, 1911.
- Golvin (L), Le Maghreb central à l'Europe des Zirides, Alger, 1959.
- Idris (R.H.), La Barbarie Orientale sous les Zirides, 2 vols, 1959.
- Lombard (M), L'Islam dans sa première grandeur, Paris, 1970.
- Marçais (G), Manuel de l'Art Musulman, T. II, 1927.
- Marçais (G), l'Architecture Musulmane d'Occident, Paris, 1954.

La revue Africaine.

La Revue Historique (Paris).

ت - تاجدیت 37

تامسلت 74

تاکدمت 30

تسودر بن سلیمان 30

تُقُرت 33

تلمسان 25

تماوط 81 - 85

تمولست 74 - 77

تنومة 59

تونس 77

توزر 21

تین بامطوس 35 - 81 - 83

تین یسلي 36 - 39 - 42 - 43 - 45

تین وال 76

تیهرت (تاهرت) 51 - 58

ج - جابر بن سید 22

جابر بن معربة 43

جادو 44

جربة 10 - 11 - 12 - 15 - 16 - 34 - 60 - 62 - 65

الجزائر 33

جغراف 82 - 83 - 84 - 85 - 86

جمال المديوني 68

ابو جهل 89

ح - الحسن البصري 87

خ - بنو خزر 25

د - داود بن يوسف 59 - 74

داود بن بکر 38

داود الصنهاجي 46

درجین (قلعة) 26 - 82

الدرجيني (احمد) 3 - 10 - 11 - 12 - 13 - 14 - 15 - 17 - 19 - 20 - 24

- 26 - 28 - 31 - 32 - 35 - 36 - 42 - 55 - 59

دمر (الجبل) 60 - 77

ابو دوناس 85

ر - روسيا البيضاء 8

ز - زرزور 21

زكرياء بن أبي زكرياء 54 - 55

ابوزكرياء بن ابي مسور 34

ابوزكرياء بن جرنان 11

ابوزكرياء يحيى 4 - 5 - 8 - 11 - 54 - 64 - 76 - 77 - 88

زنقة 74

زنانة 25 - 66

زواغة 14 - 62

زيري بن لقمان 83 - 84 - 85

س - سجلماسة 84

سدراثة 61

سعید بن ابي یونس 64

سعید بن ابراهيم 38 - 51 - 52 - 67

سعید بن عمار 69

سعید بن یخلف 5 - 22 - 23

سعید بن زنگیل 23

سلامليك 44

سلیمان ابو موسی 29 - 30

سلیمان بن داود 59

سليمان بن زيري 30

سليمان بن موسى 32 - 34 - 35 - 51 - 60 - 81 - 83 - 86

سليمان بن عائشة 43

سليمان بن عيسى 81 - 83

سليمان بن يخلف 3 - 4 - 5 - 7 - 8 - 11 - 14 - 15 - 16 - 17 - 27 -

37 - 39 - 40 - 44 - 46 - 47 - 48 - 50 - 56 - 57 - 58 - 60 - 64 - 66 - 77

31 - 32 - 33 -

ش - شروس 44

الشماعي (احمد) 3 - 10 - 11 - 12 - 14 - 17 - 19 - 20 - 24 - 26 - 30 -

36

ص - صالح باجية 37

ابو صالح (الباجراني) 28 - 29 - 30 - 31 - 32 -

صبرة 84 - 85

صنهاجة 25 - 26 - 27

ط - طرابلس الغرب 25 - 26 - 39 - 45 - 47 - 53 - 74 - 78 - 83

طمزين 37

ع - عائشة (ام المؤمنين) 36

عبد السلام بن عمران 85

عبد السلام بن منظور 24 - 25

عبد الله بن الامير 16

عبد الله بن زورتين 14 - 58

عبد الله بن الخير 43

عبد الله بن المنصور 71

عبد الله المديوني 54 - 55 - 58 - 59 - 63 - 76

عبد الله بن مسعود 53

عبد الله بن مانوج 10 - 11 - 14 - 15 - 17 - 70

عبد الله بن محمد 20

عبود بن منار 13 - 14 - 20 - 31

عجلان الباهلي 88

عدل بن اللؤلؤ 34 - 35

علي بن منصور 47

عمار الزواغي 65

ابو عمار الكافي 4

عمران بن زيري 32 - 33

عمران بن حطان 79

عمران بن يعلى 69

ابو عمر النميلي 11

عمروس الزواغي 14

عيسى ابو موسى 65

عيسى بن زاود 50

عيسى بن يركسن 29

عيسى بن السمح 63

عين تاعمارت 40

غ - غانة 33

غمراسن 61

ف - فلفول 45 - 46 - 78 - 79

فيصل ابو زكرياء 79

ق - القيروان 19 - 85

قسطالية 20 - 26 - 37 - 44

قنطرة 37 - 64 - 82

قاسم بن منكود 50

ك - كموس (ابو محمد) 14

كريله 21

ل - ليوكي 8

لماية 10 - 40

لقمان 27

لمطة 49

مانو (وقعة) 37

م - ماكسن بن الخير 12 - 15 - 38 - 39 - 45 - 64 - 65 - 69 - 76 - 77

محبوب السدراتي 34

محمد بن بكر 10 - 24 - 25 - 26 - 27 - 28 - 37 - 40 - 45 - 46 - 50 - 55 -

56 - 59 - 66 - 69 - 72 - 79 - 89

محمد بن ثامر 27

محمد بن ابي صالح 32

محمد بن الخير 38 - 50

محمد بن جنون 40

محمد بن مانوج 32 - 33 - 36

محمد بن عطية 56

محمد بن سودة 58

محمد بن ويسلان 60

محمد بن يانس 6

محمد بن نوح 35 - 36 - 37

محمد بن سليمان 36

مديونه 86

مدغيس 25

مريم بنت ماسوعي 36

مزاته 17 - 21 - 26 - 60 - 65 - 66

مسعود بن واندين 84

محبوب بن ابي عبد الله 73

المعز بن باديس 84

المغرب 74

مصالة بن يحيى 69

مصر 56 - 84

مصطكود الزنداجي 58

مغراوة 25 - 42 - 83 - 84 - 85

المنصور بن اسماعيل 85

منصور بن فلد 13

موسى ابو عمران 6 - 11 - 12 - 40 - 64 - 65 - 69 - 76 - 77

موسى بن جنون 40

موسى بن زنگيل 34 - 35

موسى بن عيسى الزواغي 6

موسى بن عيسى بن السمح 10

موسى بن ابي زكرياء 23 - 36 - 55

موسى بن ابي صالح 32

ميمون بن حمودي 68

ن - نفزاوة 44 - 46

نفوسة (جبل) 44 - 48 - 56 - 64

النكار 9 - 13 - 42 - 55 - 68

ابو نوح 22 - 23

نوح (ابو سعيد) 50

نيكول المزاتي 37 - 38 - 67

نيكول بن عيسى 50

ه - هارون بن النضر 24

و - هود بن محكم 68

وادي ميزاب 25

وارجلان (ورجلة) 23 - 25 - 29 - 30 - 31 - 33 - 35 - 36 - 38 - 39 - 46 -

50 - 51 - 57 - 58 - 60 - 64 - 66 - 77

ورسفلاس بن مهدي 76

ورغانة 40

وغلانه 40 - 78

فهرست الكتاب

صفحة

2	 مقدمة المحقق
3	 مقدمة المؤلف
10	 أخبار عبد الله بن مانوح اللمائي
17	 أخبار أبي محمد ويسلان الدنجي
20	 أخبار أبي جعفر بن خيران
24	 أخبار أبي الخطاب بن أبي وزجون
31	 أخبار أبي صالح تابركيـث الياجراني
37	 أخبار أبي عبد الله محمد بن بكر
52	 مسائل اختلف فيها يزيد بن مخلد ويغلان بن داود
54	 فصل في أخبار ملتقطة
66	 فصل آخر
72	 فصل آخر
77	 فصل آخر
82	 قصة جغراف
91	 مصادر التحقيق والتعليق
95	 فهرس الاعلام

ويحمان الهواري 76 - 86
الوهبية 62

ي - يحيى بن جعفر 40 - 42

يحيى بن يوسف 57

يزيد بن مخلد 17 - 18 - 22 - 52 - 53

يسجان بن منصور 27 - 82

يعقوب بن أبي القاسم 27 - 28 - 42

أبو يعقوب اليرساني 55

يغلان (أبو خزر) 52 - 53 - 56

بنويفرن 25

بنو ينجاسن 46

يوسف بن ابراهيم 81

يوسف بن أبي عبد الله 81 - 82

يوسف بن اسماعيل 81

يوسف ولد عيسى 40

يوسف بن الشيخ 40

يوسف بن الوالي 45

يوسف بن محمد 50

يوسف بن موسى 76

يوسف بن نفاث السدراتي 6 - 55

يونس بن اجاج 32

يونس بن أبي الحسن 26

يوجين اليفراني 23

